الفصل السادس

العوامل المؤثرة في الشباب هدماً وبناءً

- وسائل الإعلام .
- الازدواج والتناقض في أساليب التربية والتعليم .
- المسجد ودوره في إعداد الشباب .
- دور الأسرة في تربية الأجيال .
- التقليد ومركب النقص .
- تربية الضمير .
- تعليم الجنس .
- على من تقع المسئولية ؟
- الشباب المسلم بين تيارات الفتن .
- من فتاوى الشباب .

وسائل الإعلام

إلى عهد قريب كان كثير من الناس يعتقدون أن مسئولية التربية والتعليم تنحصر في البيت والمدرسة ، وهذا الاعتقاد كان صواباً إلى حد ما ، قبل أن يستفحل الخطر الإعلامى وتتعدد وسائله ، وتتنوع أساليبه ، أما بعد أن تربعت وسائل الإعلام على عرش القلوب والعقول، فقد انقلبت المفاهيم ، وتغيرت كل الموازين ، وأصبحت التربية والتعليم عملية مشتركة بين وسائل الاعلام ، والبيت والمدرسة ، بل أصبحت وسائل الإعلام هي المدرسة الأولى التيّ تتخرج فيها الأجيال ، وكلمتها الكلمة ، وقولها القول ..

ولو وقف مدرس الدين يخطب عاماً في التلاميذ ثم عرضت شاشات الاعلام فيلماً ساقطاً يتملق غرائز الجنس في الشباب ، لنسفت مفاهيم الفيلم من أعماق الشباب كل معنى نبيل غرسته المدرسة في نفوسهم ..

ومن هنا كان الخطر المروِّع لوسائل الإعلام ، ودورها الخطير في صياغة شخصية الشباب ، بل في صياغة عقلية المجتمع بأسره ..

وإلى هذا الدور التعليمي الخطير يشير « محمد إقبال » فيقول : « يا لبلادة فرعون الذي لم يصل تفكيره إلى تأسيس الكليات ، وقد كان ذلك أسهل طريق لقتل الأولاد ،ولو فعل ذلك لم يلحقه العار وسوء الأحدوثه في التاريخ » .

حقاً ما قاله الشاعر المسلم ، فإن التعليم يمكن أن يقتل الفطرة في الإنسان السوى ، وخاصة إذا كان من خلال وسائل الإعلام التي تستطيع بأساليبها الجذابـة ، ومداخلها الساحرة ، وإلحاحها على الآذان - تستطيع أن تخلق أمة تفكر بعقلية القطيع ، وبذلك يستطيع أي طاغية أن يصب عقول عامة الشـعب - من خلال الإعلام - في قالب واحد ، وبين عشية وضُحاها ، تُسَبِّح الجماهير بحمده ، ويتعبدون في محرابه ، ويسجدون له من دون اللّه ، وتصبح الهزائم

المنكرة على يده نصراً مُؤزراً .. فهو النبي الذي لا ينطق عن الهوى ، وكلماته تنزيل من حكيم حميد !!

ويستطرد الفيلسوف المسلم فيقول : « إن التعليم هو الحامض الذي يُذيب شخصية الكائن الحي ، ثم يُكَوِّنها كما يشاء ، وإن هذا الحامض هو أشد قوة وتأثيراً من أية مادة كيميائية .. هو الذي يستطيع أن يُحَوِّل جبلاً شامخاً إلى كومة تراب ».

وعن هذا الدور المؤثر يقول الكاتب الاجتماعي « ج.س.يولاك »في مقال له عن السلوك الشاذ للشباب في الغرب : « إنه من طبيعة الفتيان الذين لم يبلغوا بعد إمكانية الحكم على الأشياء حكماً صحيحاً ، أن ينقلوا صور هذا العالم الثنائي البعد ، عالم الكلمة المطبوعة ، وعالم الصور المتحركة على الشاشة البيضاء ، إلى التنفيذ العملي ، وتحت هذا الفيض الزاخر من عمل العنف وارتكاب الجنايات تنطفىء كل دوافع المسئولية واحترام الإنسان ، وبهذا ينحني سلوك الفرد ، وتصبح عوامل العنف عنده أمراً طبيعياً ، و بقدر ما يوجد من آباء واعين مسئولين ، يمكن أن تدرك هذه الحقائق كما يدركها آلاف من المربين والقساوسة وأطباء النفس » . .

ولكن ، لماذا لا نبحث عن مخططات لمعالجة الموقف ؟ أما يشغل الوزارات غير رؤوس نائمة لا تدرك خطر الأقلام والكتيبات » ؟ [1] .

وعن نفس الأثر الذي تُخَلِّفه وسائل الاعلام فى نفوس النشء يقول الدكتور « الكسيس كاريل » : « إن أطفال وطلبة المدارس يُكَوِّنون عقولهم من البرامج السخيفة التى تُوضع لوسائل التسلية العامة ، ومن ثَمَّ فإن البيئة الاجتماعية تناهض نمو العقل بكل قوتها بدلاً من أن تعمل على هذا النمو » .

---

(١) المرأة بين الفقه والقانون ص ٣١٢ .

نعم .. فالطفل الصغير الآن أصبح يسأل عن المسلسل ، وعن الفيلم ، وعن مباراة الكرة ، والكبير يُعدّ مرجعاً علمياً منظماً في هذه الشئون .. في أسماء لاعبي الكرة والفنانين والفنانات ، والراقصين والراقصات ..يعرف عنهم ما لا يعرف عن أقاربه ، فالفنان الفلانى متزوج ، وعدد مرات زواجه كذا ، وعدد مرات طلاقه كذا ، ويعرف - أيضاً - عدد أحذيته ومناديله وجواربه ، ورحلاته، وحركاته ، وسكناته ، وغرامياته ، وعشيقاته .. مرجع مُنَظَّم .. ولِمَ لا وقد أكدت الإحصائيات العلمية أن ٧٥٪ من جمهور السينما فى مصـــر من الشبـــاب ؟ [١] .

يقول الأستاذ السمان مشيراً إلى حلقة « تليفزيونية » استضيف فيها بعض طلبة مدرسة معروفه للمتفوقين ..يقول :

« وكان المتوقع أن تكون الحلقة - إلى آخر دقيقة فيها - من الحلقات الجادة التى يتلقى منها سائر الطلبه دروسا فى التفوق ، ولكن مُقدم البرنامج سآل الطلبة واحداً واحداً عن مثله الأعلى فى الحياة .. وكانت الأجابات مذهلة .. فالمثل الأعلى لدى الطلبة المتفوقين هم على الترتيب - ولست أدرى أهو ترتيب تصاعدي أم تنازلي ؟! - : عبد الحليم حافظ ، بليغ حمدى ، نَزَار قبانى ، محمد عبد الوهاب ، أنيس منصور .. وقلت تعقيباً على هذه الإجابات : لم أكن أنتظر من هؤلاء الطلبة المتفوقين أن يقولوا : إن مثلنـــا الأعلى : أبو بكر ، أو عمر ، أو عليّ ، أو خالد بن الوليد ، بل كنت أتوقع أن يقول واحد منهم : إن مثلي الأعلى هو أبي » [٢] .

إن نظرة على وسائل الإعلام - المسموعة والمرئية - في مصر تجعلنا نستطيع أن نضعها تحت عنوان واحد ألا وهو « إعلام الجنس »..وإلا فإننا نريد أن نرى فيلماً واحداً ، أو مسلسلاً واحداً ، أو أُغنية واحدة خاليـــة من الحديث عن الحب الجنسي .. لن نجد ، لأن عامة القائمين على وسائل الاعلام صُنعت عقولهم العبقرية خارج ديار الإسلام .. فهم يزرعون فى أرض الغرب ويحطبون فى حبال اليهود ..

---

(١) الأخبار فى ٢ من مارس ١٩٧٩ .

(٢) العقيدة والقوة معا ص ٢٦٧.

ونظرة ثانية على الملصقات الدائمة على جدران شوارع قاهرة المعز تجعلك تصاب بالاشمئزاز والغثيان ، دليل على الوحل الخالص الذى غرقت فيه مصر الاسلام ومصر الأزهر « الشريف »!!

إن وسائل الإعلام عندنا تقوم بعملية غسل مخ للصغار والكبار ، واستعملوا هذا « الحامض » فى تخدير المشاعر ، وتنويم الأحاسيس ، واستنزاف الطاقة ، والتهييج المستمر للغرائز ، وهذا مقصود ومخطط له ..

هذه الجماهير الغفيرة التي تنتظر فيلم يوم معين يُعرض على شاشة الإعلام ، أو تنتظر بلهفة مسلسلاً رخيصاً يوماً بعد يوم .. هذه الجماهير تراها وهي تنتظم أمام الشاشات كأنها تُؤدي شعائر صلاة الجمعة ..

هذه العقلية التي صيغت في هذا القالب الطفولي ، هل ستنطلق يوماً لتعلن في صراحة وشـــجاعة رأيها في قضية قد تجعل الأرض تميد من تحت أقدام الأمة ..؟

كلا .. إنها ستفضل النوم على هدهدة الجنس ، والقيام على صراخه في أعماقها ..

لقد زرعت وسائل الإعلام في شبابنا روح الميوعة ، وقتلت فيهم روح البطولة والرجولة ..سممت أفكارهم ، وقدّمت لهم النماذج المنحرفة ، حتى سرت في عقولهم الغضة سريان السم فى الجسم السليم ..

ورغم ذلك فإننا لا نكف عن دعم الخلاعة والمجون - وبالأمس القريب حققت مؤسسة السينما فى مصر خسارة بلغت سبعة ملايين من الجنيهات ، وحقق المسرح خسارة قدرها مليون جنيه . . . ولله في خلقه شئون ! ! .

حتى أصبح شبابنا لا يتنفس إلا جنساً ، ولا يفكر إلا في الجنس ، ولا يخفق قلبه إلا بالجنس ..

إن رائحة الطعام الشهي النَّفاذ تُثير الغُدَد اللُعابية ، فتنسال إفرازاتها طالبة الإشباع ليسكن داعي الجوع في الجسم البشري ..

وبنفس هذه الطريقة التي تُثار بها هذه الغُدَد اللُعابية تُثار الغُدَد الجنسية عندما تتحرك بمنظر عار ، أو فليم عار ، أو صورة عارية ، عند ذلك يندفع الشباب لا يلوى على شئ ليلقى بهذا الحمل الرهيب الذى نأى به كاهله .. ثم نشكو من انحراف الشباب !!

* * *

بيت المهمل يخرب قبل بيت الظالم

فى تحقيق من الصين الشيوعية جاء مايلي :

« الرقابة على الأفلام مشَدَّدة في الصين ، فلن تستطيع هوليود غزوها ، واعتبرت الأفلام التي تحتوي على القبلات ممنوعة ومفسدة للأخلاق ، والرقص ممنوع لأنه نوع من الغَزل ، والغَزل ممنوع .. ولكن للأجانب مطلق الحرية فى إقامة حفلات راقصة فيما بينهم بشرط ألا يحضرها أي صينى ، وفى جامعة« قودان» بشنغهاي طُرد طالب أجنبي كان يريد دعوة أحد المشرفين إلى حفلة راقصة ، واعتبر مغضوباً عليه ، لأنه حاول إفساد مواطن شريف بمغريات الرأسمالية ..

كذلك المقدمات العادية للغزل غير معروفة في الصين ، فالابتسامة الواسعة نوع من الأدب ، ودليل على شدة الحياء ، بعكس كل الشعوب ، فالوجه الذى لا يبتسم فى الصين دليل على الحزن والتعاسة ، ويستوجب استدعاء رجال «الكادر» بواسطة الجيران لمعرفة أسباب العبوس ، فالأجنبي الذي لا يعرف هذا قد يجد نفسه أمام المرأة الصينية مندفعاً لمغازلتها ، ولكنها تضعه عند حده فوراً ، لأن الفتاة الصينية تقف كالحائط المنيع أمام أية محاولة للغزل .. فإذا تجاوزت الزمالة حدودها ، وتعدَّدت لقاءات أي شاب وفتاة بمفردهما ، واجها النقد وطولَــبا من الآخرين بالعودة إلى العقل ...

وإذا سِرْتَ فى الشوارع فلن تجد حبيبين يتنزهان ..فإذا تصادف أن جلسا على دكة خشبية عامة فى الطريق ، فذلك يكون فى غياب البوليس ، ولا يجرؤان على الاقتراب من بعضهما »[1] .

ألستم معى أن بيت المهمل يخرب فعلا قبل بيت الظالم ..؟؟

* * *

(١) مجلة أكتوبر .. العدد ٦٨ . في الخامس من ربيع الأول سنة ١٣٩٨هـ .

احـــذروهم ياشباب

ولا بد أن يعلم شبابنا حقيقة هؤلاء من خلال نظرة الاسلام ، لا من خلال وسائل الترويج والتضليل . .

هؤلاء ياشباب مهمتهم الإفساد فى الأرض ، وهم يعيشون فى كل المجتمعات على حساب الفضيلة ، ولا تحلو لهم الحياة الا فى مستنقعات الجنس .

وإلا... فمن أين تعظم أرصدة البنوك ؟ [1]

ومن أين يكون بناء العمارات الشاهقة ؟

ومن أين تُركب السيارات الفارهة ؟

ومن أين يكون التصييف فى أوروبا ؟

فكيف تتخذون منهم أُسوة وقدوة ، وهم فى كل واد يهيمون ، ولكل طاغية يهتفون وينشدون ويغنون ؟ !

ولذلك فلا تعجبوا إذا جعلوهم أعلى مرتبة من العباقرة والمفكرين ، والعلماء العاملين ، وصُوِّروهم بالقُوَاد والفاتحين ، وجعلوا من الهلكى منهم شهداء صالحين...

إن الاسلام لا يمنع الترفيه .. فهو دين الفطرة السمحة ، ودين يمنع الرهبانية ويمقتها ، ودين يلفظ التَشَدُّد ويكره التعسير على الناس ..

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قالوا : يارسول الله ، إنك لتداعبنا . قـــال : « إني لا أقول إلا حقاً »[2] .

ويقول حُجة الاسلام أبو حامد الغزالي في معرض الحديث عن اللهو المباح : « اللهو مُرَوِّحٌ للقلب ، وُمَخَفِّفٌ عنه أعباء الفكر ، والقلوب اذا أُكرهت عميت ،

---

(١) من الألفاظ التى أقر المجمع اللغوى المصرى استعمالها .

(٢) أخرجه الترمذي .

وترويحها إعانة لها على الجِد ، فالمواظب على التفقه مثلاً ، ينبغي أن يتعطل يوم الجمعة ، لأن عطلة يوم تبعث على النشاط فى سائر الأيام ... فالعطلة معينة على العمل ، واللهو معين على الجِد ، ولا يصبر على الجِد المحض ، والحق المُرّ إلا نفوس الأنبياء عليهم السلام ، فاللّهو دواء القلب من داء الإعياء والملال ، فينبغى أن يكون مباحاً ، ولكن لا ينبغى أن يُستكثر منه كما لا يستكثر من الدواء ، فإذن اللهو على هذه النية يصير قُربة »[1] .

فهناك ألف موضوع وموضوع صالح لأن يكون فيلماً جاداً أو مسلسلاً هادفاً .. ولكننا - دائماً - نعشق السقوط !!

فاللّهو البرئ لا شئ فيه ، والاستجمام والمزاح مطلوبان للترويح عن النفس وتجديد نشاطها .. ولكن أن يصير الهزل قاعدة والعمل شذوذاً ، وأن يصير المغنون والممثلون في مكانة العباقرة والمفكرين . . تُرصد لهم الجوائز ، وتُقام من أجلهم الأعيـــاد والمهرجـــانات ، وتُخفف عنهم الضرائب رغم أن أجر الراقصة أو الممثلة فى فيلم ساقط قد يعدل مرتب خريج جامعة مكافح أطفأ نور عينيه فى البحث والدرس - يعدل أجره طول حياته .. فأي إحباط هذا ؟ وأي تناقض يعيش الشباب فيه ؟ .

ياشباب ..

هؤلاء يمثلون لكم قصص الحب والغرام والوجد والهيام ، وهم لم يعرفوه إلا من زاوية الجنس .. يمثلون لكم قصص السعادة فى الحياة ، وهم لم يشعروا بهذا الإحساس قط ..

«منذ بضع سنين أُصيبت الممثلة « ڤيڤيان لى » بالانهيـار العصبى ، ومنذ أمد غير بعيد دخل المستشفى حشد من الفنانيـــن مثل « چـاك شـــاريـيـه »

---

(١) احياء علوم الدين : كتاب « آداب السماع ».

و« مارلين مونرو » و« بريجيت باردو » و« إيف ماتيو » و « سان لوران » .. مكثوا بضعة أسابيع يُعَالجَون من المرض نفسه »[١] .

وإلى الشباب المعجب والشابات المعجبات بالفنانين والفنانات أهدي إليهم نص الوصية التى تركتها ممثلة الإغراء العالمية « مارلين مونرو » بعد أن وَدَّعت الحياة بأسوأ ما تودع به الحياة ...

تقول فى وصيتها المحفوظة في « مانهاتن بنك » في نيويورك :

« احذرى المجد .. احذرى كل ما يخدعك بالأضواء .. إنى أتعس امرأة على هذه الأرض .. لم أستطع أن أكون أمًا . . إنى امرأة أُفَضِّل البيت .. الحياة العائلية الشريفة على كل شئ .. إن سعادة المرأة الحقيقية فى الحياة العائلية الشريفة الطاهرة ، بل إن هذه الحياة العائلية لهي رمز لسعادة المرأة بـــل الإنسانية..

لقد ظلمنى كل الناس .. وإن العمل في السينما يجعل من المرأة سلعة رخيصة تافهة مهما نالت من المجد والشهرة الزائفة . . إني أنصح الفتيات بعدم العمل في السينما والتمثيل - إن نهايتهن إذا كُنَّ عاقلات كنهايتى »[٢] .

هؤلاء هم وهُنَّ الذين يعرضون أفلام الحب وقصص السعادة : هؤلاء هُنَّ :

البـــائســـات المائســـات كآلـــة مـــن غيـــــر روح
النـــاشرات شـــذى ، ومن أعماقهـــن أذى يـفـــــوح
الضـــاحكات وقـــد طوين قـــلوبهن علـى جـــــروح
آلامـهـــا الحـرى ، مـــع الزفرات ، فى لهف تفوح !![٣]

* * *

(١) طبيبك معك - للدكتور صبري القباني ص ٢٥ (٢) المرأة بين الفقه والقانون ص ٣١٦

(٣) من شعر الأستاذ عمر بهاء الدين الأميرى .

الصحافة

وعن الصحافة ، فَحَدِّث ولا حرج ، فقد انضمت هي الأخرى إلى الركْب .. إلى الزفة .. زفة المهرجين والهتافين والمصفقين ، واشتركت مع الوسائل الأخرى فى بَثِّ السموم ، والأفكار الهدامة في نفوس الشباب ، فأفسدت أخلاقهم وضمائرهم ، وأثَّرت على أسلوب تفكيرهم تجاه كل الأمور ، بل كوَّنت لهم فلسفة حياتهم ، ووضعت لهم المُثل العُليا راقصين وراقصات ، وممثلين وممثلات ، ونجومًا لامعة في سماء الفن والكرة ..

وما أن يهوى نجم من هذه النجوم اللامعة ليستقر في باطن الأرض إلا وتقوم قيامة الصحافة ، فترى النبأ العظيم لوفاته يحتل صدر الصفحات الأولى مكتوباً بالخط العريض ، وتُجند الصحف جميع صفحاتها للحديث عن « شهيد الفن » وتقوم بعرض تاريخ حياة الشهيد الحافلة بالأمجاد والبطولات والفتوحات العظيمة فى عالم الفن ، وتتساءل الصحف - في أسف وحسرة - عمن سيملأ هذا الفراغ الكبير الذي تركه الراحل الخطير .. ؟ !

وإظهاراً لمشاعر الحسرة والألم على الفقيد « الشهيد » تَغُصّ الصفحات الداخلية بلقطات للموكب المهيب الذى اشتركت فيه الملايين من محبي فنه الرفيع ، وبحور الدموع التي ذُرفت - في تهطال - من المحبين والعاشقين ، ولا تنسى الصحافة أن تُدَبِّج عدداً من قصص الذين واللائي انتحرن من أجل هذا النجم الذي هَوى والغصن الذي ذوى !!

هذا الغُثاء كله في الوقت الذي يكون نصيب الدين في صحفنا يتذبذب عند درجة الصفر ، وإذا كان ، فزاوية في مكان قصي ، وحديث باهت لا يشحذ همة ولا يُرَسِّخ عقيدة ولا يُقَوِّى إيماناً ..

ولقد رأينا عشرات من علمائنا الأفذاذ يوافيهم الأجل المحتوم ، فلا يشغل ذلك من صحافتنا المبجلة إلا بضعة أسطر فى صحفات الوفيات مدفوعة الثمن...

وعندما نرى هذا الوضع المعكوس المنكوس ، فإننا لا نملك إلا أن نقول لكل عظيمة : « لاحول ولا قوة إلا بالله ، وإنا لله وإنا إليه راجعون » .

ولما رأيتُ الجهلَ فى الناس فاشياً ... تجاهلت حتى ظُنَّ أنى جاهلُ

إذا وَصَفَ الطائي بالبخل مادر ... وَعيَّرَ قَسًّاً بالفهاهة باقلُ (١)

وقال السُها للشمس أنت خفية ... وقال الدُجى ياصبح لونك حائلُ (٢)

وطاولت الأرضُ السماءَ سفاهة ... وفاخرت الشُهْبُ الحصى والجنادلُ (٣)

فيا موتُ زُرْ إنَّ الحياةَ ذميمة ... ويا نفسُ جِدِّى إنَّ دهرك هازلُ

وأترك المجال لأستاذنا الشيخ محمد الغزالى ليتحدث عن الدور الخطير الذى تمارسه الصحافة فى أخلاق الشباب .. يقول :

« إن المجتمع البرئ تشب فتياته زهرات ناصعة لا يعرفن الإثم إلا كما تعرف البساتين النضرة غيوم المداخن الكدرة .. ولبُعْد أذهانهن عنه ونزاهة ساحتهن منه صَحَّ أن يُوصفن بالغفلة فى مثل قول الله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴾(٤) .

إنها غفلة القلب الملائكي عن لوثات الطباع السافلة ، فانظر أية بيئة تتعاون الأقلام الساقطة على خلقها حين تتسابق فى شرح وفضح أسرارها ، وفتح عيون الصغار والكبار عليها ..

---

(١) الطائى: حاتم بن عبد الله من سادة طئ ، شاعر اشتهر بالكرم حتى ضرب به المثل ، توفى قبل الاسلام بنحو عشرسنوات .. ومادر : هو مخارق بن هلال ، ضُرب به المثل فى البخل .. وقَسّ ابن ساعدة : أشهر الخطباء والحكماء فى العصر الجاهلى عاش مائة وثمانين سنة .. وباقل : هو باقل الربعى بن عمرو بن ربيعة الإيادى ، ضُرب به المثل فى العى والبلاهة .

(٢) السَها: كوكب صغير خفى الضوء .

(٣) الشهب : الدرارى من الكواكب لشدة لمعانها . والجنادل : الصخور الكبيرة .

(٤) النور : ٢٣.

فى مصر وحدها تصدر عدة صحف يمكن أن يُؤلف من أوراقها كتاب متوسط الحجم يُنشر بين الناس مطلع كل صباح ..

تصورأنك قرأت فى عام واحد نيفا وستين وثلثمائة كتاب..

لو كانت فى الدين لكنت إمامًا . لو كانت في الأدب لكنت بَحَّاثة حُجـــــة . لو كانت فى العلم لحطمت الذُّرَة ..لو ..لو ..لكنها فى اللغو والهزل ، فهي شر ذو حدين ، حد يقطعك عن الجد وعن القراءة النافعة .. وآخر يشتت قواك فى عالم الفراغ ويفسد ذوقك ، وينقل اليك حركات الغرائر الدُنيا ومجارى الشهوات فى أعماء الظلام ..

إن بث الإثم فى المجتمع ثم محاولة تنميته بالمقالات والروايات والاذاعات وضروب الغناء الأخرى أمر لا يبقى معه دين ولا تستقر معه فضيلة »[1] .

وقد أشار الشيخ بعد ذلك إلى ضرورة التصدى لهذه الأساليب وعدم الفرار أمام قلة من الصحافين الماجنين ، والعمل على بناء محاضن للجيل المسلم ، وأن تكون المساجد مثابات يلتقى الأخيار فيها ليأنس بعضهم بالبعض ، ويتواصوا بالحق ، ويتواصوا بالصبر ..

* * *

(١) ظلام من الغرب ص ٢٣٧ .

من بركات الإعلام فى مصر

أنقل هذه الفقرات من كتاب « المرأة والصراع النفسي » والذى يعرض - فيما نرى - الحصاد المر للأعاجيب التى يصنعها إعلام الإثارة والجنس فى تحطيم المناعة فى نفوس شبابنا ، لينسف ما بقي لهذه الأُمة من كرامة إن كانت لا تزال تتمتع بشئ منها !!

تقول الدكتورة « نوال السعداوى » - وهي شاهد من أهلها :

« والكبت الجنسي في مجتمعنا كان يمكن أن يكون أقل خطراً على صحة البنات والنساء النفسية ، لو أن الثقافة والإعلام والفنون في مجتمعنا تخضع للقيم الأخلاقية نفسها التى تتحكم فى تربية البنات ، ولكن هذا لا يحدث لأن الذى يتحكم فى وسائل الثقافة والفنون والإعلام عامة ليست هى القيم الأخلاقية القائمة على الكبت الجنسى ، وإنما هى القيم التجارية القائمة على الربح من وراء عرض أفلام الجنس والرقصات العارية وأجساد النساء ، وتأوهات المطربين والمطبات ليل نهار فى الراديو والتليفزيون ، وعرض الأفخاذ والنهود العارية فى صفحات المجلات .

ويصبح على البنت المصرية أن تحل وحدها المعادلة الصعبة .. عليها أن تشبع بهذه الأفلام والصور والأصوات الصارخة بالجنس والشبق ، وعليها في الوقت نفسه ألا تتأثر بها ، وإن تأثرت - وهذا مايحدث - فعليها أن تخفي هذا التأثر وأن تتظاهر بشئ آخر ، أما أن يتحول هذا التأثر إلى فعل - وهذا أمر طبيعى عند الإنسان السليم نفسياً وجسدياً فهذه الطامة الكبرى التى تقع فى حياة البنت ، سواء انكشفت أم لم تنكشف .. إن انكشافها يقودها إلى إحساس طاغ بالخوف أو الذنب يلازمها طوال حياتها ويسبب لها البرود الجنسي أو العصاب أو ما شابهه .

وفى جميع الأحوال .. لا يؤدي الكبت والتناقضات التي يفرضها المجتمع على البنت إلا إلى التعاسة العامة التي تشعر بها النساء والفتيات من جميع الأعمار.. المتزوجات منهن وغير المتزوجات ، وقد تنكر بعض النساء هذه

التعاسة ويتوهمن أنهن سعيدات ، لكن المرأة منهن لا تصمد طويلاً أمام الأسئلة التي تجعلها تعيد التفكير في حياتها وفي سعادتها السطحية .. » [1] .

وفي نهاية حديثنا عن وسائل الإعلام يهمنا أن نتعرف على رأي الطب النفسي في وسائلنا الإعلامية ..

يقول الدكتور « عادل صادق » أستاذ الطب النفسي فى جامعة عين شمس في معرض حديثه عن إحساس الشباب بالغربة والصراع والقلق : « وقد يبدو غريباً أن يكون من بين أسباب حيرة الشباب ومحنته هو أن روح الايمان موجودة ومتأصلة لديه تهز قلبه وتحاول الاقتراب من عقله .. وتلك مسألة بديهية .. فالمشكلة أساسها صراع يعيشة الشباب .. صراع بين ما يتفاعل فى نفسه وإحساسه ، بين تناقضات تنهال على عقله .. وحياته اليومية لا تساعده فى تأكيد إحساسه الدينى بل تناقضه ، وتشده إلى صراعات ومتاهات ، وما ينجم عن ذلك من حيرة أو تخبط ، فبعض شبابنا حائر ، وبعضه متخبط ، ولب المشكلة أننا نتجاهل عقل الشباب ، ولعل هذا أصبح سمة من سمات حياتنا اليومية »..

وبعد أن يسوق الدكتور الأمثلة الصارخة لهذا الصراع الذى يعيشه الشباب وعدم اضطلاع المسئولين بدورهم فى تعميق الإيمان فى نفوسهم يقول : « يقف الشاب فى وسط التيار وحيداً ممزقاً ، وربما يتعلق بقشة واهية لا تنقذه بالقطع وانما تأخذه إلى القاع المظلم .. ثم يأتي المجتمع ليُجهز على الشباب .. يفتح «الراديو » أو يشاهد « التليفزيون » أو يذهب إلى « السينما » فلا يجد إلا موضوعاً واحداً متكرراً يُلح على كل غرائزه « الحب والجنس » ويذهب إلى جده [2] فيقول له : كل شئ حرام .. وأى ممارسة خارج نطاق العلاقة الزوجية حرام ، وإذا التزم رغم كل الضغوط الهائلة حوله من وسائل الإعلام فإنه يقرر الزواج .. ويرتطم رأسه تماماً في الحائط إلى حد حدوث ارتجاج فى المخ حين يعجز كُلِيَّةً عن توفير سكن له .. ان ذلك يستدعى أن يَدَّخر كل مرتبه لمدة عشرين عاما أو أكثر . يواجه كل هذا وهو ضعيف لم يُسلح منذ نشأته بالعقيدة يعجز كُلِيَّةً عن توفير سكن له .. إن ذلك يستدعى أن يَدَّخر كل مرتبه لمدة

---

(١) المرأة والصراع النفسي ص ٦٩ . (٢) يرمز الى الموجه « بالجد » باعتباره رمزا للحكمة

عشرين عاماً أو أكثر . يواجه كل هذا وهو ضعيف لم يُسلح منذ نشأته بالعقيدة السليمة والمفاهيم الصحيحة .. يواجه كل هذا و الضغوط من حوله ..«الراديو» يقول كلاماً مختلفاً تماماً عن كلام جده . « التليفزيون » يعرض صوراً مختلفة تماما عن الصورة التى يريدها جده ..تأثير الراديو والتليفزيون قوى لأن هناك الحاحا واستمرارا تساندهما أجهزة الإعلام كلها ، وليس هناك الا موضوع واحد هو الحب .. الحب الجنسى .. لقد آمنت أخيرا كطبيب نفسى أن «الشيروفرانيا» أى انفصام الشخصية- لا تصيب الأفراد فقط ، ولكنها من الممكن أن تصيب المجتمعات أيضاً » ..

وعلي طريق الخلاص يقول الدكتور في نهاية حديثة : « وأما بالنسبة لأجهزة الإعلام والصحافة فجميعها لا تؤدى الا دورا ضئيلاً محدوداً فى مجال التعليم والتوعية والتوجيه من أجل الشباب .. لا بد من ثورة إعلامية للقضاء على الإسفاف والاستخفاف بالقيم والتعاليم السماوية ، ولا بد من دور إيجابى كبير الحجم لتنشئة الشباب النشأة الدينية السليمة ، وتعميق روح الإيمان فى قلوبهم وعقولهم ..

والمؤسسات السياسية بما لها من همينة على حياتنا تنظيما واشرافا ومتابعة، فان لها دورا هاما وبارزا فى تعميق الإحساس الدينى لدى الناس وبخاصة الشباب .. وأخيراً ، لقد عرضت بأمانة ووضوح معالم الأزمة والمحنة التى يعيشها شبابنا اليوم .. وتصورى لمعالم الطريق الذى يمكن أن يسلكه من أجل خروجه من التوتر والقلق الذى يعيشه ..

بقي شيء أضيفه من خبرتي الشخصية في مجال عملي كطبيب نفسي ، وهو أن قدراً كبيراً من اضطراب الشباب على المستوى الشخصي واصابتهم بلقلق والاكتئاب والشعور بالاغتراب - يحدث بسبب ضعف الوازع الديني ، وحين يخبو نور الإيمان في العقول والقلوب .. لك أن تتخيل أي اضطراب يصيب حياة أي إنسان ويحرمه من الإحساس بالإطمئنان والاستقرار النفسي »[1] .

ونعتقد أن ما ذكره الطب النفسي حول وسائل الإعلام . وأسلوب تربيتنا للشباب - غنى عن كل تعليق ..

* * *

(١) يوميات الأخبار فى ٦ من يناير ١٩٧٩ ، ١٣ من يناير ١٩٧٩ .

الازدواج والتناقض فى أساليب التربية والتعليم

« كان خُلُقُه القرآن ».....

عبارة وصفت بها السيدة عائشة رضى الله عنها خُلق رسول الله ﷺ وبهذا المعلم .. يبين لنا رسول الله ﷺ أن الإسلام ليس نصوصاً نظرية تُشحن بها العقول ، أو تُحفظ عن ظهر قلب فى قاعات الدراسة ، أو قرآناً تفتتح به برامج الإعلام إرسالها ، أو أحاديث باهتة عن الدين ثبت عبر موجات الأثير .. وإنما هو منهج حياة ، وسلوك مجتمعات ، وروح تسرى في شرايين الأمة ..

هذا هو الإسلام .. الذي لا ينفصل فيه الإيمان بالقلب عن العمل بالجوارح :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الفِرْدَوْسِ نُزُلاً ﴾(١).

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوفٌ عَلَيهِم وَلاَ هُم يَحزَنُونَ ﴾(٢).

﴿ اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلاَةَ ﴾(٣).

وان القرآن قد نعى على قوم تخالف أقوالهم أفعالهم :

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ ﴾(٤).

ولقد كان صحابة رسول الله ﷺ -رضوان الله عليهم -يحفظون الآيات من كتاب الله تعالى، فلا ينتقلون إلى غيرها إلا إذا تُرجمت واقعاً حياً يعيش في سلوكهم.

---

(١) الكهف : ١٠٧

(٢) البقرة ٢٧٧.

(٣) العنكبوت ٤٥

(٤) الصف :٢-٣.

وإذا انتقلنا من هذا المفهوم البديهي في الإسلام إلى واقع أساليب التعليم عندنا فلن نجد ظلاً لهذه التوجيهات الربانية تنعكس على مناهج التعليم ، بل سنرى تناقضاً وازدواجية تصيب طلبة العلم بالتمزق والصراع النفسي ..

فمناهج التعليم في مصر ما زالت بها بصمات واضحة من أيام أسيادنا المستعمرين .. ساهم فى المحافظة عليها جماعة من المستغربين فى ديارنا ..

عندما يدرس الطالب فى مادة « الأحياء » نظرية « تشارلس دارون » في أصل الأنواع وهي النظرية التي مُنعت دراستها في كثير من دول أوروبا .. النظرية المهترئة التي قامت على فروض وهمية باعتراف صاحبها الذي قال عن كتابه « أصل الأنواع » : « إننى واثق تماماً أن كثيراً مما جاء فيه سوف يثبت أنه هراء ، ولكنني أتوقع كما أرجو أن يظل الهيكل ثابتاً ».

النظرية التي قام العلماء الباحثون بدحضها حتى وصفها بعضهم بأنها أدخل رأى في الجنون قاله رجل في تاريخ الإنسان ، حتى المحايدون قالوا بأنها أفكار للتأمل ..

يقول العلامة « فون باير » مؤسس علم الامبريولوجيا (الأجنة)- وهو من أقطاب الفزيولجيين والحفريين والبيولوجيين - يقول فى كتابه : « دحض المذهب الداروينى »: « إن الرأى القائل بأن النوع الإنسانى متولد من القردة السيمائية (الغوريلا والشمبانزى والقردة العليا) هو أدخل رأي في الجنون قاله رجل في تاريخ الإنسان ».

شئ عجيب حقاً أن نُبقى على مثل هذه النظرية الوهمية التي تصادم حقائق الإسلام مصادمة تامة ،في الوقت الذي يقول فيه « هـ . ج. ويلز »: « إن موضوع تسلسل الإنسان الحيواني لا يزال ينكره بغاية من الشدة الكثير من الرجال المقتدرين ، بل كثير من رجال العلم ، فحكومة ولاية « تينسى » مثلا بلغ

من اقتناعها بنقيض هذه النظرية أن منعت تدريسها فى جميع مدارسها وكلياتها »[1] .

وبعد حصة « الأحياء » يدخل مدرس الدين ليتلو ويفسر قوله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴾[2].

﴿ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴾[3].

من يُصَدِّق ؟

أيُصَدِّق مَعَلِّم الأحياء أم يصدق مُعَلِّم الدين ؟

أيُصَدِّق « تشارلس دارون » أم يصدق خالق دارون والخلق أجمعين ؟

أيُصَدِّق العلم أم يُصَدِّق الدين ، أم يكفر بأحدهما ليسلم له عقله؟ سؤال كبير .. لا أجد له جواباً !!

وهذا الطالب الذى لَقَّنَهُ مدرس الدين قوله تعالى :

﴿ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ، وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ ، وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ ﴾[4].

ويخرج من المدرسة الى الشارع ليجد ثلة من زملائه يقفون على النواصى ليلتهموا بأعينهم الزائغة أجساد الرائحات الغاديات ، وليجد الفتنة ذات أنياب وأظافر ..

وذلك الشاب الذي يستمع فى المسجد إلى موعظة تُوْجَلُ منها القلوب وتُذرف

---

(١) راجع نظرية دارون بين المؤيدين والمعارضين للأستاذ قيس القرطاس .

(٢) المؤمنون :١٢، ١٣ . (٣) السجدة : ٧. (٤) النور : ٣١ .

منها العيون، ولدى خروجه من المسجد تصطك مسامعه بمذياع يرسل على موجاته صوت أنثى رقيقة أضناها الهجر فهى تشكولذعة الأسى وحُرقة الجوى...

وهذه المَعَلّمة المربية الفاضلة التى تذهب الى المدرسة (معهد التربية والتعليم) وقد تزينت كالراقصة ، وارتدت ملابس أشبه ماتكون بملابس الممثلات على الشاشات .. هل يرجى منها نشر الفضيلة بين شبابنا .. مستقبل الأمة ولسانها الناطق وعقلها المفكر ويدها البانية ؟ ..

إنها إن كانت تدرس فى مدارس البنين فانها معْوَل هدم فى بناء شامخ ، لأنها تثير الشهوات فى نفوسهم ، وتجعل التلاميذ وكلهم فى سن المراهقة ينفقون وقتهم فى الاستمتاع بالنظر الى السيقان العارية ، والفتنة الطاغية ، ليطفئوا بعضاً من نار الشهوة التى سَعّرتها فى نفوسهم ..

وقد سألنى تلميذ : إذا كانت النظرة الأولى لى والثانية علىّ ، فماذا أصنع بالفتنة المتحدية داخل الفصل ؟ أو كيف أغض من بصرى كما أمر الله ؟ فقلت له : ألق اليها سمعك ، وغُضّ عنها بصرك ، وركز انتباهك على المكتوب دون الكاتبة !!

وان كانت تُدَرسْ فى مدرسة خاصة بالبنات .. فالمصيبة لا تقل خطراً ، إذ كيف تُكَلّف امرأة عارية من الفضيلة بتدريس الفضيلة ؟ بل كيف تُكَلّف التليمذات بارتداء الملابس المحتشمة وتترك المدرسات الفاضلات على حل شعورهن ؟ وكيف تكون التلميذة مثلا أعلى وأسوة حسنة لمعلمتها ، بل كيف يستقيم الظل والعود أعوج ؟

أعمى يقود بصيراً لا أبَاً لكم قد ضل من كانت العميان تُرديه

إن التلميذة عندما تري هذا التناقض الصارخ بين ما يُفرض عليها وبين ما تراه يُلحُ على أنظارها ومسامعها تكفر بكل قيمة فاضلة ومثل رفيع ، وحالما تخرج من المدرسة فإنها ستسارع إلى خلع ثياب الحشمة لترتدى زى الشيطان ..

وتعظم المصيبة عندما يُسند تدريس مادة « التربية الإسلامية » الى أستاذة ترتدى المينى جيب ، وكتب الدين تحوى بين موادها موضعات كاملة عن التبرج وآياته ..فانا لله وإنا إليه راجعون ..

ان هذا التناقض وهذه الازدواجية فى أساليب التربية والتعليم تسببت فى توزيع فكر الشباب ، واهتزاز القيم فى نفسه وإصابته بالصراع النفسى ..

فى هذا الجو يعيش شبابنا المفترى عليه ، ممزق النفس ، حائر اللُّب ، مشتت الفكر ، موزع المشاعر بين نداء الدين والفطرة من جهة ، وبين إلحاح الغريزة والطرق الرهيب عليها من جهة أخرى ..

ويتحير الشاب ..

من يُصَدِّق ؟ أيُصَدِّق ما سمع فى المدرسة والمسجد من قيم عُليا ومُثل رفيعة؟ أم يُصَدِّق ما يضغط به المجتمع على أعصابه ليلا ونهاراً محطماً كل ما سمع وقرأ عن العفة والسمو بالذات ؟

وفى هذا الخضم من الصراع يسأل الشاب نفسه : هل أحيا مع المجتمع وأتكيف معه ،أم أقف ضد المجتمع ورغباته التى تخالف وتصادم ما تلقنته من مُثل عُليا وأتمسك بالدين ولتكن النتيجة ما تكون ، أم أنشد مع الشاعر :

لقد صارقلبي قابلا كل صـــورة فمرعى لـــغزلان ودير لرهبان
وبـــــيت لأصنام وكعبة طائف وألواح توراة ومصحف قرآن ؟؟

وبعد ذلك نشكو مر الشكوى من وجود تنظمات سرية للشباب تعمل تحت الأرض وفوقها ، ونقيم الدنيا ولا نقعدها ، ويجد رجال الشرطة فى البحث والتحرى ، وتُعقد المحاكمات العسكرية ، لشباب جنى عليه ازدواج التعليم وتناقض المجتمع ..

بعد كل هذا من يستطيع أن يقول لى : إن الشباب فى ظل هذه الأوضاع المعكوسة المنكوسة يستطيع أن يحيا فى سلام نفسى ، وفى تكيف مع نفسه ومع المجتمع ؟؟

* * *

مُدَرِّس الدين

داعية الإسلام بين صفوف التلاميذ .. ماذا يفعل فى هذا الجو المشبع بالفساد..؟

ينبغى عليه ألا يفر من الميدان ، وألا تكون تناقضات المجتمع والأساليب الفاشلة فى التعليم مسوغا لكى يُصاب بالإحباط ويؤدى حصة باهتة خالية من روح الإسلام الحية المتوقدة ..

وهنا لن نضع لاخواننا قوائم بأسماء الجماعات الدينية وكيفية تنظيمها، فكثيراً ما يكون هذا الهيكل التنظيمى عملاً روتينياً مظهرياً لا يمت إلى روح العقيدة بصلة .

والداعية المخلص يمكنه بحيوية مشاعر الإيمان فى قلبه أن يفتح مجالات متعددة لدعوته بين صفوف التلاميذ .. يمكنه أن يجد مجالاً في إذاعة المدرسة ، بتخصيص يوم يجيب فيه عن أسئلة التلاميذ ، ومن خلال الندوات والمحاضرات ، وصلاة الجماعة في مسجد المدرسة ، وحديث مركز بعد الصلاة لدقائق يصلح فيه فساد عبادة أو يُعَلِّق فيه علي حديث عارض يوضح فيه حيوية الإسلام الذى هو كفيل بحل جميع معضلات الحياة ..

ولست أقصد بذلك أن يكون مدرس الدين هو العنصر الإيجابى الوحيد .. كلا .. فهذه طريقة تربوية فاشلة ، وانما عليه أن يحول جموع الطلبة إلى دُعاة إلى هذا الدين ، فان الطالب عندما يرى نفسه فى موقع القدوة ، يستُحى أن يرتكب مخالفة لما يدعو إليه ..

إن مُعَلِّم الدين فى استطاعته الكثير ، وبحسن توجيهه وثقة تلاميذه فيه ربما استطاع أن يُنقذ فتى أو فتاة من أزمة نفسية أو عاطفية يمكن أن تُحَطِّم مستقبل هذا الفتى أو هذه الفتاة ..

ودور المُعلِّم هنا لا نفصله عن دور المسجد ، لأن كلاً منهما مُكَمِّلٌ للآخر ، وللحديث بقية في دور المسجد فى بناء الشباب ..

* * *

المسجد ودوره في إعداد الشباب

مرحلة الشباب هي المرحلة الحرجة التى يمر فيها الشباب بتغيرات جسمية ونفسية وعاطفية ، ويتعرض فيها للصراع بين المثل العليا والسقوط في حمأة الرذيلة ، وللتناقض والازدواجية بين ما يلقنه وما يعيشه ، وبين ما يسمعه ومايراه .

والمسجد بالنسبة للشباب فى هذه المرحلة هو طوق النجاة ، والداعية الناجح هو السباح الماهر الذى يستطيع أن ينتشل هذا الغريق من بين أمواج الفتن والظلمات التي تكتنفه من كل جانب ..

ونحن نُوَجِّه الحديث هنا إلى الدعاة فقط ، ولا نخاطب الموظفين من أجل «لقمة العيش » فهؤلاء نسقطهم تماماً من الحساب .. نتحدث مع الدعاة الذين حملوها أمانة ملكت عليهم أنفسهم ، وسرت فى شرايين أجسامهم ، فأصبحت هى شغلهم الشاغل وهمهم المقعد المقيم ..

نتكلم مع ورثة الأنبياء ، لا مع ماسحى « الجوخ» ومُصدرى الفتاوى وهواة الكراسى الذين انسلخوا من آيات الله ، فان مثل هؤلاء كما قال سيدنا المسيح:

« مثل علماء السوء : كمثل صخرة وقعت على فم نهر لا هى تشرب الماء ، ولا هي تترك الماء يخلص إلى الزرع »

وهؤلاء هم الذين عناهم الشاعر بقوله :

فأما القتال لا قتال لديكم ولكن سيراً في عِراض المواكبِ

إن الداعية الذى أخلص لله نفسه هو الذى يجعل من رسول الله ﷺ قدوته ومثله الأعلى ، فقد كان رسول اللّه ﷺ هو المحور الذى تدور عليه الحياة من حوله ، فقد كان أبا لكل صغير ، وأخاً لكل كبير ، وملاذاً يلجأ اليه الناس لحل ما استعصى عليهم من مشاكلهم ، وقد كان المُعَلِّم والمشرف الاجتماعى والطبيب

النفسى ، ولن يستطيع الداعية إلى الله تمثل هذه القدوة إلا بثقافته العالية التى تنمو يوماً بعد يوم ، فرسالته وعلمه هما اللذان يفرضانه على الناس ، والعمل الجيد يفرض نفسه ..

وبالطبع لن نستطيع استيعاب دور المسجد في هذا المجال الضيق ، ولكننا سَنُرَكِّز علي ما يمكن أن يُقَدِّمه المسجد للشباب ، فالمسجد وحده هو الذى يستطيع أن يُقَدِّم للشباب ما عجزت أن تقدمه لهم المدرسة والبيت والشارع ووسائل الإعلام .

يقول علماء النفس فى هذا المجال :

إن مرحلة المراهقة هي الفترة التي يكون الدين فيها بالنسبة للشاب ، هو المخرج والمتنفس الوحيد ، الذي يحقق له الأمان من الضغوط النفسية ، والمشاكل الانفعالية ، التي تقع عليه من داخل نفسه وخارجها ..

فليتذكر إخواننا الدُعاة أن المعركة ميدانها عقول الشباب ، والشباب الذي يعانى من الفراغ الدينى يقع فريسة سهلة لا تكلف شيئا للشيوعية والمذاهب التى تدعو إلى التحلل من ضوابط الدين .

وان الشيوعيين على ما عندهم من البضاعة المزجاة ، فانهم عرضوها على الشباب عرضا أنيقا منمقا ، جعل بعضهم يفتتن بهذا المسخ المنحرف للفطرة البشرية .. فكيف بنا ونحن أصحاب الدين الحق نفشل في عرض ديننا عرضا قوياً مغرياً ينبئ عن حقيقته الرائعة ..؟

وان نصيباً كبيراً من هذا التحلل الذى ينتاب الشباب يقع العبء فيه والمسئولية عنه أمام الله في ساحات القيامة على عاتق السادة الذين تَخَرَّجوا في جامعة الأزهر ، ورضوا من الغنيمة بالشهادات وأكل العيش ، وجلهم يعملون في مجالات التدريس كمعلمين ، ويوهمون أنفسهم أن وظيفتهم الرسمية ليست الدعوة ، وليست الوعظ والإرشاد ، وليست القيادة والتوجيه ..

وهذه المساجد الخاوية على عروشها .. أنذهب إلى كليات اللاهوت لنأتي منها بدعاة إلي الله ؟ !

إنهم أمام الله يوم العرض لمسئولون ، وعن علمهم ماذا عملوا فيه ؟ وإلى الله نشكوا!

* * *

• ما الذي يمكن أن يقدمه الداعية إلى الشباب ؟

إن شبابنا في طول الوطن الإسلامي وعرضه ما زال بخير رغم حملات التضليل الضارية التي تُشن عليه من كل الجبهات المعادية للإسلام .. وشجرة الإيمان ما زال أصلها ثابتاً في قلوبهم ، ولكنهم يفتقدون القيادة ..يفتقدون القدوة ، بعد ما أصيبوا بالإحباط وبالغصص في حلوقهم وهم يرون الأكابر كل يوم يقولون ما لا يفعلون ..يسمعون كلاماً رناناً ووعوداً جوفاء يُصرَح بها اليوم لتُبتلع غداً .

والشخصية الوحيدة التي يمكن أن تُقَدِّم هذه القدوة حية متجسدة هي شخصية الداعية المخلص ، فيصبح بذلك أجمل عنوان لأعظم رسالة ..

ومهمة الداعية هي أن يقوم بعملية حصار للأباطيل والمبادرة إلى الرد على محاولات النيل من العقيدة ، وتصحيح مفاهيم الشباب من الخلط والخبط الذي تمارسه وسائل الإفساد ..

نريد أن تتحول خطبة الجمعة إلى « مدرسة الجمعة » ، مدرسة تعالج فيها موضوعات الساعة وقضايا الشباب ، مدرسة تعرض عظمة الإسلام في معالجة مشاكل العصر الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، ونحن لا نُلقي بالاً للذين يهرفون بما لا يعرفون ويقولون بفصل الدين عن الدولة . ﴿ قُلِ اللَّهُ ، ثُمَّ ذَرْهُم فِي خَوْضِهِمْ يَلعَبُونَ ﴾[1] .

---

(١) الأنعام : ٩١ .

ولا نريد من الداعية أن يكون دوره هو الدور الإيجابي الوحيد ..

فما المانع أن يُكَوِّن الداعية مكتبة في مسجده بالجهود الذاتية يستطيع كل رواد المسجد الاستعارة منها بموجب ايصال مطبوع يكتب عليه المستعير بياناته فتكون استعارة الكتب منها خالية من تعقيدات المكتبات العامة ؟ .. إننا بمثل هذا العمل نستطيع جذب المزيد من الشباب المسلم الى المسجد وربطه به ..

ما المانع أن يتنازل الداعية عن الدرس بعد صلاة الجمعة ، ليقدم أحد الشباب من رُواد المسجد ليلقى موعظة يكون قد أشرف على إعدادها ، أو يُقَدِّم طالباً من كلية الزراعة ، أو الطب ، أو الصيدلة ، ليُقَدِّم إلى جماهير المصلين وجبة علميه إسلامية من خلال تخصصه يفيد منها المسلمون في حياتهم العامة .. إن هؤلاء الشباب سيكونون صفاً ثانياً للدعوة إلى الله ..

و من أَجَلِ الأعمال التي يمكن أن يُقَدِّمها المسجد للفتاة المسلمة أن يُخصص الداعية ساعة معينة في يوم معين من أيام الأسبوع لتكون درساً للمرأة المسلمة، والمرأة ليست أقل تأثراً من الرجل في شئون العقيدة وليس هذا بدعاً من الأعمال، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : جاءت امراة إلى رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله ،ذهب الرجال بحديثك ، فاجعل لنا من نفسك يوماً نأتيك فيه تُعَلمنا مما عَلَّمَكَ الله . قال :«اجتمعن يوم كذا و كذا » فاجتمعن ، فأتاهن النبي ﷺ فعلمهن مما عَلَّمَه الله ،ثم قال :« ما منكن من امرأة تُقَدِّم ثلاثة من الولد إلا كانوا لها حجاباً من النار » فقالت امرأة : واثنين ؟ فقال رسول الله ﷺ : « واثنين »[1] .

ومما يزيد من حيوية المسجد وإشعار المسلمين بعظمة الإسلام أن تُقَدِّم من خلال المسجد نماذج تطبيقية للسلوك الإسلامي في مجال التكافل الاجتماعي بأن يقوم الداعية بمساعدة شباب المسجد بقيادة حملة لجمع التبرعات من الملابس والأغطية

---

(١) متفق عليه .

وغيرها ، وذلك في بداية فصل الشتاء ، ثم يقوم بعد ذلك بتوزيعها على الفقراء.

كل هذا النشاط يمكن أن يقوم به الداعية لمزيد من ربط الشباب بالعقيدة من خلال المسجد ، ونحن نُقَدِّمها كأمثلة ولكنها ليست نظرية ، لأنها طبقت وآتت ثماراً طيبة والحمد لله رب العالمين ..

ولعل بعض الإخوة الدعاة قد تجاوزوا هذه المرحلة فهنيئاً لهم توفيق الله لهم .

* * *

• المسجد ومشكلات الشباب الجنسية والعاطفية :

كما قلنا آنفاً : إن الإسلام لا يدفن رأسه في الرمال ، ولا يعامل البشر كملائكة ولم يجعل الجنس عيباً ولا دنساً ولا قذراً إذا كان في إطار من الحدود التي حدَّها الله عز وجل ، وتأسيساً على ذلك فليس هناك مانع على الإطلاق من التعرض لمشكلات الشباب الجنسية والعاطفية سواء أكان ذلك على المنبر أو في الدرس بعد الجمعة ..

وليس من المعقول أن تُعرض الفضائح على الشاشات ، وعندما نأتي لنعالج نتحرج من العلاج ، فنكون قد أخلينا الميدان تماماً لهذه الوسائل لتمارس الهدم كما يحلو لها ..

ولأن الكلام في الجنس سلاح ذو حدين ، فإننا سنضع بعض الضوابط التي تساعد الداعية في هذا المضمار ..

أولاً : توعية المستمعين بأن الكلام في الجنس للإصلاح أو للتعليم ليس حراماً، فإن العلم يضيع بين الكبر والحياء ، وهذا رسول الله ﷺ يقول : « يا أيها الناس .. إن الله لا يستحي من الحق : لاتأتوا النساء في أعجازهن »[1] .

---

(١) سنن الدارمي .

ثانياً : معالجة الموضوعات الجنسية بصورة مهذبة ، وألفاظ غير جارحة للحياء والمشاعر ، ولنا في كتاب الله - عندما يتحدث عن الجنس - أسوة حسنة ومنهج راشد ..

ثالثاً : عدم تسليط الأضواء القوية على الأفعال الجنسية والدخول في التفصيلات التي تثير الشهوات ، فإن الله عز وجل عرض في القرآن قضية الشذوذ الجنسي ، وتحدث عن اللحظات الحرجة التي يعلو فيها نداء الغريزة فوق كل نداء .. تحدث عن يوسف وامرأة العزيز .. مشهد جرت تفاصيله داخل حجرة نوم امرأة العزيز ، ومع ذلك لم يكن تركيز القرآن على أنواع العطور التي وضعتها ، ولا الملابس التي لبستها ، ولا على صنوف المغريات والمهيجات ، ولكن التركيز كان مسلطاً على موقف الترفع والتسامي والاعتصام بالله ، وتفضيل النوم وراء القضبان على النوم على الأثاث والرياش ونيل المتعة ، فينبغي على الداعية أن يكون غاية همه ليس الفعل في ذاته وإنما في الأضرار المترتبة عليه ..

رابعاً : على الداعية أن يكون محيطاً بالموضوع الذي يتحدث فيه احاطة كاملة من شتى جوانبه ، وأن تكون عنده خلفيات عنه يحتفظ بها لنفسه ، فليس كل ما يقرؤه أو يعلمه يتحدث به إلى الناس ، وذلك لأن نسبة عالية من الشباب الذي يستمع إليه قرأ الكثير عن الموضوع الذي يعرضه ، فإذا لم يشعر الشباب الذين يستمعون إليه أنهم أضافوا إلى معلوماتهم جديداً ، وصححوا مفاهيمهم الخاطئة من منطلق الإقناع والحجة ، فإن النتيجة ستكون فقدان الثقة بالداعية ومعلوماته معاً .. ولعل في الكتاب الذي بين يديك وفي المراجع التي رجع إليها ما يعينك على كثير مما تريد ، وفقني الله واياك إلى سبيل الرشاد.

﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ، وإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾[1].

* * *

(١) العنكبوت : ٦٩ .

دور الأسرة في تربية الأجيال

أولادنا ثمار قلوبنا ، وفلذات أكبادنا ، وامتداد لحياتنا بعد فنائنا . .

ونحن إذ نتحدث عن دور الأسرة في تنشئة الأجيال . . فإننا نتحدث عن موضوع له خطره . . فالطفل الصغير أمانة كبيرة بين يدي أبيه وأمه . . وعقله الصغير أرض بكر لم تزرع ، وورقة بيضاء لم يخط فيها حرف .

وإذا كنا قد وضعنا وسائل الإعلام في قفص الاتهام باعتبارها المُخرِّب الأول للأجيال ، فإن دور الأسرة في التربية ، قد يكون بمثابة الطُعم الواقي الذي يجعل عقل الطفل مُدَرَّعاً ضد قاذفات الفساد والانحراف ، وإلى هذا الدور الخطير الذي تقوم به الأُسرة يقول الرسول ﷺ : « كل مولود يُولد على الفطرة حتى يُعرب عنه لسانه ، فأبواه يُهودانه ، أو يُنَصِّرانه ، أو يُمَجِّسَانه »[1] .

وقبل أن نسترسل في الحديث ، فإننا نلفت النظر إلى أننا لن نستطيع تغطية الموضوع من كل جوانبه الدينية والنفسية والاجتماعية . . وربما نعود إليه - إن شاء الله - في بحث مستقل إذا انفسح العمر . . ولكننا سنتكلم عن جوانب أساسية في التربية يغفل عنها كثير من المسلمين . .

فبعض الناس يعتقدون أن رسالتهم في الحياة هي إنجاب الأولاد . ومنتهى فهمه في تربيتهم هو أن يُوَفِر لهم الطعام والشراب والملبس والمسكن ، وأحياناً يرهق نفسه في سبيل تزويدهم بالكماليات والمرفهات . .

وغاية ما يصل إليه في تربيتهم هو أن يجتهد في تعليمهم حتى يحصلوا على درجات عالية تؤهلهم لأن يأخذوا أوضاعهم المادية والأدبية في المجتمع . .

---

(١) رواه أبو يعلي والطبراني والبيهقي .

وبذلك يكون قد بَلّغَ الرسالة وأدّى الأمانة . . هذا مبلغ علم الكثير من المسلمين.

وهي - لعمر الحق - أفكار ومعتقدات لا تنسجم مع مفهوم الإسلام في التربية . . فمطالب الطعام والشراب . . مطالب يشترك فيها الحيوان مع الإنسان ، وفهم الأسرة لرسالة التربية والتعاليم بهذا الاسلوب الشائع وسيلة من وسائل الدمار والخراب . فالإسلام لا يُعامل الإنسان ككتلة من لحم غايتها في الحياة هو « العلف » أو التزود من ماديات الحياة بقدر المستطاع ، وإنما يعامله جسداً وروحاً ، فتربية الجسم تسير جنباً إلى جنب مع تربية الروح ، إذا جار أحدهما على الآخر حدث الخلل والاضطراب في النفس البشرية . .

ما فائدة أن ألقن ابني العلم ، وأسعى في الحصول له على مدرسين متخصصين ليكون من المتقدمين في نفس الوقت الذي هو في الأخلاق صفر من كل فضيلة وأدب وتهذيب . . ؟ !

إن العلم في هذه الحالة سيكون وسيلة تدمير وهدم وشقاء . .

والعلم إن لم تكتنفه شمائل ... تُعليه كان مطية الإخفاق

لا تحسبن العلم ينفع وحده ... مالم يُتوّج ربه بخلاق

ولقد رأينا كثيراً من الأبناء - لا أقول تربوا - ولكن أقول درجوا على هذا الأسلوب ، فصار الواحد منهم بعد ما شَبَّ عن الطوق ، يُصَعِّر خده لوالديه ، ويُثني عِطفه عليهما ، ويتنكر لهما إذا كانا من بسطاء الناس . .

وشاهدت بعيني رأسي شاباً « متعلماً » - كان يترك والدته العجوز في البيت .. بيتها الذي سكنه هو وزوجته - يتركها ليأتي إليها المتطوعون من الناس يقومون لها ببعض شئونها حتى وَدَّعَتْ الحياة ساخطة عليه وعلى زوجته .. ولقد شاهدته - بعد ما أحاط به نكد الحياة - يزور قبرها بعد موتها ، فقلت في نفسي :

لا ألفِيَنَّكَ بعد الموت تندبني ... وفي حياتي ما زودتني زادي

ثمار مُرَّةٌ يجنيها الآباء والأمهات من عدم التزامهم في تربية أولادهم بِهَدْى الإسلام . .

إن رسول اللّه ﷺ - الذي لا ينطق عن الهوى - يوجهنا إلى أن نربي أبناءنا على تقوى الله وطاعته وحبه وحده والإخلاص له فيقول : « مُرُوا صبيانكم بالصلاة لسبع سنين ، واضربوهم عليها لعشر سنين ، وفَرِّقوا بينهم في المضاجع »[1] .

وتقول « كوادينف » وهي باحثة نفسية :

« إن ثمة دلائل على أن نصف البناء العقلي للفرد يتم خلال السنوات الثلاث الأولى من الحياة ، والسنون قبل المدرسة ، وأعوام المدرسة الابتدائية تُمثل الفترة التي يتم فيها النمو الجسدي والعقلي والاجتماعي ، بصورة سريعة ، والعادات التي تتكون في أثناء هذه الفترة صعب تغييرها في فترات النمو التالية كما أن العادات التي لم تتم خلال هذه الفترة عسير إنماؤها فيما بعد »[2] .

وهكذا فإن هذه الفترة التي حدَّدها حديث الرسول ﷺ تمثل أخصب الفترات التي يمكن أن تُنمّى فيها آداب الإسلام وأخلاقه في نفس الصغير . .

ولكن للأسف . . فإن الغالبية العظمى من الآباء لا ينتبهون إلى توجيهات الإسلام في هذا الشأن . .

فَمنْ مِنَ الآباء يجلس مع أولاده جلسة عائلية ليناقشوا فيها موضوعاً أخلاقياً على ضوء الإسلام وهَديه . . ؟

مَنْ مِنْ الآباء يجلس مع أولاده ويُكَلِّف أحدهم بقراءة كتاب مبسط عن منهج الإسلام في معالجة مشكلات الحياة . . ؟

مَنْ مِنَ الآباء . . يجمع أولاده ليلفت نظرهم إلى أن ما قد تقع عليه

---

(١) رواه أحمد وأبو داود .

(٢) علم النفس التربوي، فاخر عاقل ص ١١٤.

أبصارهم على شاشات الإعلام لا يمثل الحقيقة خاصة في قضايا الحب والجريمة . ؟

مَنْ مِنَ الآباء يفهم أنه إذ يُربى أولاده في المدارس غير الإسلامية إنما يزرع بذور الكفر في قلوبهم النقية . . ؟

إن الله عز وجل عندما يذكر في القرآن الكريم وصايا لقمان لابنه فإنه يُذكّر الآباء بمسئولياتهم في التربية . .

﴿ وإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَابُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ ، إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ . . . ﴾[1] .

﴿ يَابُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ ، إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ * يَابُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ ، إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ * وَلا تُصَعِّرْ [2] خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً ، إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ * وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ ، إِنَّ أَنْكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴾[3]

غرس في قلبه عقيدة التوحيد ثم علّمه المراقبة لله الذي يعلم السر وأخفى ، ووجّهه إلى إقامة الصلاة ، وعلّمه أن يكون عضواً إيجابياً في المجتمع المسلم يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ويصبر على الأذى الذي ربما يصيبه من جراء القيام بهذين الأمرين ، وعلّمه أن يمشي متواضعاً ، وأن يتحدث في هدوء بغير صخب أو ضجيج . .

---

(١) لقمان : ١٣ .
(٢) الصعر : داء يُصيب الإبل فيلوي أعناقها .
(٣) لقمان : ١٦ - ١٩ .

كل ذلك ليُوَجِّه اللّه أنظار الآباء إلى الأمانة التي وضعها بين أيديهم ، والتي يُسألون عنها في عرصات القيامة : « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » .

* * *

• معاملة الأبناء :

من الأساليب التي يعاني منها الكثير من شبابنا أن الولد مهما كبر سنه وعمق فكره - فهو في نظر أبويه طفل صغير . .

وهذا الأسلوب من أسوأ أساليب التربية [1] ، وقبل أن يقول العلم الحديث كلمته في هذا الأسلوب . . قالها نداء الفطرة .

استشاط معاوية غضباً على ابنه يزيد . . فأرسل إلى الأحنف بن قيس ، فقال له : يا أبا بحر ، ما تقول في الولد ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، ثمار قلوبنا وعماد ظهورنا ، ونحن لهم أرض ذليلة وسماء ظليلة ، وبهم نَصول على كل جليلة ، فإن طلبوا فأعطهم ، وإن غضبوا فأرضهم يمنحوك ودهم ، ويحبوك جهدهم ، ولا تكن عليهم ثقلاً ثقيلا ، فيملوا حياتك ويودوا وفاتك ، ويكرهوا قربك . . فقال له معاوية : لله أنت يا أحنف ، لقد دخلت عليّ وأنا مملوء غضباً على يزيد ولقد أصلحت من قلبي له ، فأرسل إلى يزيد بمائتي ألف درهم ومائتي توب ، فأرسل يزيد نصف ذلك إلى الأحنف . .

وكان العرب يقولون : الولد ريحانك سبعاً ، وخادمك سبعاً ، وهو بعد ذلك صديقك أو عدوك أو شريكك . .

ومن أساليب التربية الناجحة ما وجّه إليه رسول اللّه ﷺ بقوله : « من كان له ولد فليتقارب له ، وليكن معه كما يكون الصبي مع الصبي ملاحقة له ».

---

(١) ينبغي على الأبناء في مثل هذه الأحوال أن يعذروا آباءهم فقد يكون حظ الأبناء من التعليم أوفر من حظ الآباء . . .

وقال أيضاً : «من كان عنده صبي فليتصاب له »[1] .

ولقد عرفنا كيف كان رسول الله ﷺ عارفاً بنفسية الشباب،وكيف كان يترك لهم الفرص للتعبير عن أنفسهم حتى من خلال خوضهم للمعارك وهم في سن الخامسة عشرة ، وكيف كانت أساليب الإقناع التي أقنع بها الشاب الذي جاءه يريد الزنا . . معان سامية في منهج التربية الإسلامية ، وهذه المعاني نفسها هي التي يدور في فلكها علم النفس المعاصر . .

إن الأب الذكي هو الذي يكسب ثقة أولاده ويشجعهم على الإفضاء إليه بمشكلاتهم التي تُؤَرِّقهم حتى يستطيع مساعدتهم في حلها ، وذلك أجدى للآباء قبل أن يصبحوا آخر من يعلم بعد فوات الأوان . .

وإن الأب الذي يعامل أبناءه بمنطق العصا والأوامر العسكرية يفشل في تربية أولاده ، ويعمل على إلغاء شخصية أولاده إلغاءً كاملاً ، ويشعرهم بأنهم عالة عليه ، وما زالوا أطفالاً لا يفقهون في شئون الحياة صغيرة ولا كبيرة . . هذا الأب يصيب أولاده بالإحباط والأمراض النفسية ، ويدفعهم دفعاً إلى عمل يثبتون به وجودهم ، وقد يكون هذا العمل جريمة تؤثر على مستقبلهم ومجتمعهم، وقد يكون المردود ضعفاً في الشخصية ، وسلبية في الحياة وفقدان القدرة على التصرف إزاء أي شأن من شئونها ، يستوي في ذلك الحقير منها والعظيم . .

والحب الذي تفتقده الفتاة ، ولم تعثر عليه في بيت أبيها ، فإنها ستبحث عنه بظمأ مُلِّح خارج جدران البيت لتَسلِّم نفسها لُقمة سائغة لأول طارق أياً كان . .

وهذه توجيهات من وحي أساليب الإسلام في التربية نسوقها كمعالم هامة لتوضح الطريق أمام الآباء والأمهات . .

---

(١) رواه ابن عساكر وابن بابويه .

- لا بد من اتفاق الوالدين على خطة موحدة لتربية الأولاد وتوجيههم حتى لا تهدم الأم ما يبنيه الأب أو العكس ، لأن التناقض في أساليب التربية يؤدي إلى عواقب وخيمة في هذا المجال . .

- القدوة الحسنة في الأبوين ، فعين الولد معقودة بشخصية أبيه ، وعند الأب تقف تطلعات الابن ، وفي تصرفاته تكون نهاية المثاليات بالنسبة له ، ومن ثَمَّ كانت خطورة دور الأسرة التي تضع الخميرة الأولى في صنع لبنات المجتمع . .

عن عبد الله بن عامر قال : « دعتني أمي يوماً ورسول الله ﷺ قاعد في بيتنا ، فقالت : ها تعال أعطك ، فقال لها رسول الله ﷺ : « ما أردت أن تعطيه » ؟ قالت : أردت أن أعطيه تمراً . فقال لها رسول الله ﷺ :« أما إنك لو لم تعطه شيئاً كُتبت عليك كذبة » [1] .

قال الشاعر :

ينشأ الغلام على ما كان والده إن الأُصول عليها ينبت الشجر

- يراعى الأبوان العدل بين الأولاد ، ونُحَذِّر الآباء كل التحذير من الجَور في معاملة أبنائهم أو تمييز أحدهم على حساب الآخر وبخاصة إذا كان هذا الآخر من زوجة ثانية . . فتصنيف الأولاد إلى درجة أُولى وثانية من الجرائم التي يرتكبها كثير من الآباء في حق أولادهم . . فينبغي على الأب أن يعلم أن التمييز بين الأولاد - بغير عذر شرعي - يزرع بينهم الأحقاد المرة ، والضغائن التي تعمي وتصم ، وبذلك يكون الأب قد ساهم في قطع صلة الأرحام فيدخل تحت قوله تعالى : ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ ﴾[2] .

فليقدم الأب لنفسه حتى تصله - بعد موته - دعوة صالحة من ابن غير موتور.

---

(١) رواه أبو داود والبيهقي في شعب الإيمان . (٢) محمد : ٢٢ ، ٢٣ .

عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما أن أباه أتى به إلى رسول الله ﷺ فقال : إني نحلت ابني هذا غلاماً كان لي ، فقال رسول الله ﷺ : « أكل ولدك نحلته مثل هذا » ؟ فقال : لا ، فقال رسول الله ﷺ : « فارجعه » . . وفي رواية : « اتقوا الله واعدلوا في أولادكم » ، وفي رواية : « فلا تُشهدني إذن، فإني لا أشهد على جَوْرٍ » . وفي رواية : « لا تُشهدني على جَوْرٍ » [1] .

- ينبغي على الوالدين الإشراف التام على الصداقات التي يعقدها أبناؤهم ، فإن سوء الخُلق يُعدي ، ولا يزال الماء العذب عذباً حتى يختلط بالماء المالح ، فيصير ملحاً أجاجاً . .

من جالس الجرب يوماً في أماكنها لو كان ذا صحة لا يأمن الجربا

- ليحذر الأبوان كل الحذر من الشجار على مسمع أو مرأى من أبنائهم ، فإن ذلك يسبب لهم الصراع النفسي والانحراف الخُلقي ، ويُولّد لديهم عاطفة الكراهية نحو الطرف الظالم ، وقد ينعكس ذلك مستقبلاً على حياتهم الزوجية ...

.. ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ، فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً ﴾[2] .

- التفرقة بين الأولاد في المضاجع قدر الإمكان ، وإلزام البنات على الأخص بلبس السراويل [3] الطويلة عند النوم : « وفرقوا بينهم في المضاجع » .

- تعويد الأولاد - ذكوراً وإناثاً - على العادات الصحية . . وذلك كتعويدهم على ألا يلبس الإناث ملابس الذكور على الإطلاق . .

- الإشراف على نوع الثقافة والكتب التي يقرؤها الأولاد وتؤثر في عقولهم

---

(١) من حديث متفق عليه .

(٢) النساء : ١٩ .

(٣) وردت أحاديث كثيرة تحض على ذلك .

- إشعار الأولاد بشخصياتهم ، وذلك بتحميلهم المسئولية ، وإشراكهم في الرأي ، ولو كان ذلك على سبيل إشعارهم بذواتهم . .

- في مرحلة المراهقة قد تكون مناقشة الأولاد من منطق العقل والإقناع أجدى من أية وسيلة أخرى . . والأب الذي تكون عصاه كسيف الحجاج بن يوسف يفشل فشلاً محققاً في تربية أولاده وتوجيههم . .

نعم قد يُجدي هذا الأسلوب في بعض الأحيان ، ولكنه يأتي بمردود سلبي إذا كان هو الأسلوب الوحيد . .

- الاهتمام باستثمار طاقات الأولاد وخصوصاً في مرحلة المراهقة وتشجيعهم على ممارسة الرياضة والقراءة ، وشغل أوقات الفراغ ، فأنفسهم ان لم نشغلها بالحق شغلتنا بالباطل ، وحتي لا تكون أمامهم فرصة متاحة للانحراف . . .

وقد مضى منهج الإسلام في هذا السبيل . .

يقول عمر رضى الله عنه : « عَلِّموا أولادكم العوم والرماية ، ومُروهم فليثبوا على الخيل وثباً ، ورووهم ما يجمل من الشعر » .

- للأولاد حقوق على آبائهم ، فمن حقهم أن يجلسوا معهم يتبادلون الأفكار والتوجيه والمناقشة في شئون الحياة على ضوء من هَدى شريعتناالحنيفية السمحة

* * *

● تربية الفتاة :

نحتاج في هدا المقام إلى نوع من التركيز على تربية الفتاة ، فالموقف بالنسبة إليها يحتاج إلى مزيد من الرعاية والعناية ، لأن المرأة التي تهز المهد بيمينها تهز العالم بشمالها . .

فالفتاة - في سن المراهقة - شفافة بريئة . . قليلة الخبرة بالحياة ، فهي تنظر إليها من خلال منظار وردي جميل ، لأنها بالعاطفة تحيا . .

تنظر إليها على أنها حب ، ووفاء ، وانطلاق ، وزينة ، وسعادة . . ولم تَطّلع بعد على جانبها المظلم المفعم بالخداع والمكر والدهاء والغدر . . فما هي إلا أن تسمع عبارات الغَزَل تنساب في آذانها حتى تتحرك عواطفها . . . . .

وهنا دور الأب والأم جِدُّ خطير ، ومصيبتنا أن الأبوين آخر من يعلم عن انحرافات أولادهم ، لأن عندهم نوعاً من التعامي والثقة العمياء في أولادهم ذُكوراً وإناثاً ، وذلك بحكم العاطفة التي تحكم الكثير من شئون حياتنا . . .

فالأب المخدوع في لهو كبير ، وشغل شاغل بمطالب الحياة المادية ، والأم الغافلة قد يصل حنانها على أولادها إلى درجة الدُّبة التي أرادت أن تَذُب الذُباب عن وجه صاحبها فقتلته ، أو القِطة التي أرادت أن تحمي أولادها من الخطر فابتلعتهم . .!!

هذه الأم التي لا يمكن أن تتصور ابنتها إلا قطة مغمضة العينين ، من البيت إلى المدرسة ومن المدرسة إلى البيت ، وربما من بيتها إلى بيت زميلتها « لتذاكر معها الدروس » ، ولا شئ قبل ذلك أو بعده أو فيه . .

وإلى كل أب وإلى كل أم نقول : إن مسئوليتهم في هذا العصر الذي نعيشه مسئولية ضخمة وثقيلة ، حيث إن وسائل الإعلام تقوم بشحن جنسي مكثف ، وإثارة رهيبة للغرائز ، ولفت لأنظار الشباب إلى أساليب الانحراف الجنسي الذي يسمونه حباً . . كل ذلك يُضاعف من مسئولية الأسرة . .

إننا نعيش في عصر الفتن . .

ينبغي على الأب أن يناقش أولاده في المفاهيم التي تبثها وسائل الإعلام وخاصة مفهوم الحب الجنسي ، والأم ينبغي عليها أن تقوم بتطعيم أولادها بالطعم الواقي ضد هذه الأفكار الخطيرة التي تقتحم البيوت عنوة لتنسف منها روح الفضيلة والشرف . .

ودور الأم خطير في توجيه بناتها إلى أن شرف البنت هو حياتها ، وأن عفتها

وسمعتها أغلى شئ في الوجود ، وأن ما تسمع أو ترى من أغاني الحب وأفلام الحب إنما هو من عمل جماعة يتاجرون ليكسبوا كثيراً على حساب الأخلاق . .

ولتُفهم الأم بناتها بأن الفتاة عندما تخرج ويخرج معها أخوها ، فإن ذلك ليس معناه عدم الثقة فيها ، ولكن لحمايتها من ذئاب الطريق ، وأنه عندما لا تنام مع إخوتها في مكان واحد ، وعندما ترتدي السراويل في أثناء النوم إنما ذلك وقاية لها حتى لا تنكشف عورتها وهي نائمة ، واستجابة لتوجيهات الإسلام في هذا السبيل . . وهكذا . .

ونسوق هذا التحذير الذي نشرته الصحف على لسان الأستاذ « حسين نعمان » مدير النيابة في القاهرة : يقول :

« إن نسبة طالبات الثانوية المتهمات في جرائم الآداب في ارتفاع . . وهذا مرجعه في الأصل - كما أسفرت التحقيقات - إلى تفكك أسر هؤلاء الطالبات وانشغال رب الأسرة وانصرافه عن رعاية بناته . . حيث لوحظ أن الطالبات يخرجن في أوقات متأخرة دون أن يتعرضن للسؤال عن كيفية قضاء هذا الوقت بعيداً عن منازلهن ، وعند حضور ولي الأمر لاستلام ابنته من النيابة يُصاب بالذهول عندما يجد ابنته في مثل هذا الموقف . . ويُعلّل ذلك بانشغاله طوال الوقت ، ويتعهد أن يتعهدها بعد ذلك بالإشراف والقسوة . .

يضاف إلى ذلك عدم إشراف المدرسة على تلميذاتها الإشراف الكافي من حيث إخطار أهلهن بغيابهن وانقطاعهن عن المدرسة . .

وهناك أنواع من الطالبات ابتعدن عن تعاليم الدين وقيم المجتمع الشرقي حيث يعتبرن قضائهن الوقت مع بعض الشباب داخل مساكنهم نوعاً من الحرية الشخصية تتطلبه المدنية والحضارة ، وللأسف الشديد يجدن استجابة من أُسرهن. وهؤلاء أكثر انتشاراً في الأوساط الاجتماعية « الراقية » (حدث بالفعل ! !) وحتى نحدّ من هذه الظاهرة يجب تعديل قانون الأحداث بإرجاع سن الحدث كما كان ١٥ سنة بدلاً من ١٨ سنة ، لأن معظم الطالبات بالثانوي يُعتبرن أحداثاً

طِبقاً للقانون الجديد مما تضطر معه النيابة إلى تسليمهن لأهلهن أو إحالتهن لنيابة الأحداث لـعدم الاختصـاص ، وتخرج الفتاة بدون عقاب . .(حدث بالفعل !!) ، والطباخات والعاملات في الشقق المفروشة يلعبن الدور الرئيسي في التغرير بالطالبات » .

ونحن نُعَلِّق على هذا فنقول « : إن الذي سلك هذا السلوك قلة من الفتيات اللاتي نشأن في بيوت لا تلتزم بالإسلام ، وإننا لا نشك لحظة في القاعدة العريضة من فتياتنا ابتداء بالصفوف المتوسطة وإنتهاءً بالجامعة أنهن في طهارة ماء السماء ، وفي حالة رجعة عظيمة إلى الإسلام والاحتشام . ولكننا سقنا هذا التصريح من قبيل وضع الاشارة الحمراء لتنبيه بعض الآباء الغافلين والأمهات الغافلات . .

والعلاج ليس كما ذكره مدير النيابة ، وإنما العلاج يكون بأن يُتَرْجَمَ شرع الله ديناً ودولة وسلوك مجتمع ، ويكون أيضاً بتأديب وتهذيب وسائل الإعلام ، وحسبنا الله ونِعْمَ الوكيل . .

* * *

التقليد ومركب النقص

جعل الله هذه الأمة خير أمة أخرجت للناس ، لأن دورها ليس على هامش الحياة ، وإنما دورها دور إيجابي قيادي يؤثر في مسار البشرية ، ولذلك فإن الله أتبع هذه الخيرية بقوله : ﴿ تُأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾[1] .

ولن يستطيع القيام بهذا الدور الإيجابي في قيادة الدنيا قوم نيام تَسَلُّوا عن الحقيقة بالأحلام ، أتباع كل ناعق ، يميلون مع كل ريح . .

وقد ركَّزَ رسول الله ﷺ على هذا الدور وهو يخاف على شخصية أمته أن تفنى وتتلاشى وتذوب في شخصيات الأمم غير المسلمة ، فتذل بعد عز ، وتصير تابعة بعد أن كانت متبوعة ، فيقول ﷺ : « من تُشَبَّه بقومٍ فهو منهم »[2] .

وحذَّرنا الحق من السير في ركاب أهل الكتاب فقال : ﴿ وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ، قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى ، وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ ﴾[3] .

ونظرة على حال المسلمين اليوم وموقع شخصيتهم على المسرح الدولي تثير الأسى والأسف ، وتستبكي العيون الجامدة على المجد الذي ضاع ، وعلى البنيان الشامخ الذي انهار . .

فلـــقد أصبـــح الشرق الإسلامي الذي كان يُصَدِّر النور إلى أوروبا . .يستورد منها الشموع ، وبات الغرب مدرسة نحن فيها التلاميذ ، وقبلة نحن إليها المتوجهون ، ومحراباً نحن فيه المتعبدون ، وكاد الإنسان لا يُفَرِّقُ بين بعض العواصم العربية والأوروبية فيما يُغضـــب الله ، وسيطر علينـــا مُرَكَّبُ النقص،

---

(١) آل عمران : ١١٠ .

(٢) رواه أبو داود .

(٣) البقرة : ١٢٠ .

فصارت أزياؤنا باريسية ، وبيوتنا أمريكية ، وعاداتنا أوروبية ، وعقولنا شرقية غربية . . وكأن رسول الله ﷺ كان ينظر من وراء الغيب حين قال : « لتتبعُنَّ سُنن من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جُحر ضَبٍّ تبعتموهم » قيل : يارسول الله ، اليهود والنصارى ؟ قال : « فمن » ؟ [1] .

نعم سرنا وراء الغرب شبراً بشبر وذراعاً بذراع ، حتى صرنا نُقَلِّد بعمى في البصر والبصيرة ، وحتى ظهر في بلاد المسلمين من ينادي بفصل الدين عن الدولة ، ولم يستطع أن يفهم أن طبيعة الإسلام غير طبيعة المسيحية الغربية التي اصطدمت بالعلم فَنُحِيَّت إلى الأبد عن ميدان الحياة . .

لم يستطع أن يفهم أنه ليس عندنا ما لقيصر لقيصر وما لله لله ، بل إن الأمر كله لله . .

ولكن ماذا نقول في تقليد كتقليد القرود ؟

ورحم الله الشاعر محمد مصطفى حمام حين قال :

كل من قَلَّدَ الفرنجـــة منَّا ... قد أساءَ التقليـــد والتمثيـــلا

نشروا الرجس مُجَمَّـــلاً ... فنشرناه كِتَابـــاً مُفَصَلاً تفصيلا

ويُعَلِّق الأســتاذ أحمد أمين ســـاخراً من هذه التبعيــة العميــاء فيقـول : « . . فليس في الشرق كله ما يسر ، قد جُرده الله من كل حُسن . . فلا الطبيعة جميلة ، ولا المناظر جذابة ، ولا شئ فيه يأخذ باللُّب ، ويدعوإلى الإعجاب ، والقمر في الغرب أنور منه في الشرق ، والبحر الأبيض قد جَمُل منه ما لامس الغرب ، وقَبُح ما لامس الشرق ، وكل شئ في عادات الشرق وتقاليده تعافه النفس ، وينفر منه الطبع ، وعلى الجملة فالله تعالى الواهب ماشاء لمن شاء قد جمع الحُسن كله في ناحية ، وقال له : كن الغرب فكان ،

---

(١) متفق عليه .

وجمع القُبح كله في ناحية ، وقال له : كن الشرق فكان ، وهم إذا لم يقولوا ذلك كله جَهاراً آمنوا به إيماناً ، وصدرت عنه أفعالهم ، واتجهت إليه حياتهم »[1] .

ويقول الشيخ أبو الآعلى المودودي : « وكل ما يأتي من الغرب يعتبرونه مقياساً للحق ، ومعياراً للتقدم ، ويُقلّدونه في كل صغير وكبير مستطر وغير مستطر ، مع الفارق ، أن الغرب مجتهد فيما يعمل ، وهم مُقَلّدون لا رأي لديهم ولا تفكير ، وإن الغرب يهلك عن بَيِّنة ، وهم يهلكون عن عمى . . خسروا الدنيا والآخرة وذلك هو الخسران المبين »[2] .

وهنا سؤال يطرح نفسه : ما موقفنا من حضارة الغرب المادية ؟ هل ندفعها جملة ونبقى قابعين بعيداً عن حركة الحياة ؟

وللإجابة عن هذا السؤال نقول :

إن الحضارة المادية التي وصل إليها الغرب اليوم لا يرفضها الإسلام ، فما هي إلا ثمرة من ثمار العقل البشري على مر العصور ، وهي لم تخرج إلى الدنيا طفرة واحدة ، بل هي كالبناء الشامخ الذي يساهم فيه كل جيل بوضع لبنات فيه حتى يعلو البناء ويصبح جميل الرواء . . ولقد كان لعقلية الباحثين من علماء المسلمين - ولا أقول العرب - نصيب عظيم في تشييد هذا البناء الشامخ للحضارة كما سنرى فيما بعد . .

ومن الصعب على أي مجتمع أن يتقوقع ، أو يعزل نفسه ، فكل إنسان يستطيع الآن أن يطوف العالم كله وهو جالس في بيته أو مسترخ على فراشه بعد أن طوت وسائل الإعلام الزمان والمكان عبر موجات الأثير . .

فالإسلام لا يرفض أن تركب سيارة ، أو طائرة ، فهذه الصناعات الحديثة في مجال النقل السريع هي المشار إليها بقوله تعالى : ﴿ وَيَخْلُقُ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾

---

(١) فيض الخاطر - للاستاذ أحمد أمين جـ ١ ص ٥٤ .

(٢) واجب الشباب المسلم اليوم ص ٨ .

في سياق الحديث عن الخيل والبغال والحمير . . يقول تعالـــى : ﴿ والخَيْلَ والْبَغــالَ والْحَمِيــرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ، ويَخْلُقُ مَا لاَ تَعْلَـمُونَ ﴾[1] .

والإسلام لا يقف حجر عثرة في طريق صنع صاروخ أو سفينة فضاء ، بل هو قد أمر بذلك ، قال تعالى : ﴿ وأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ﴾[2] .

إذن . . فالإستفادة من إيجابيات الحضارة المادية شئ مطلوب ديناً ، لأنها الحكمة التي أشار إليها الرسول الكريم ﷺ بقوله : « الكلمة الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها » [3] .

وفي رواية ابن حبان : « الحكمة ضالة المؤمن يأخذها ممن سمعها ، ولا يبالي من أي وعاء خرجت » .

ولقد طبَّقَ الرسول ﷺ هذا المبدأ عملياً في هجرته ، فكان عبدالله بن أُريقط دليل الرسول ﷺ في متاهات الصحراء ، وكان الرجل على دين قومه . .

وهذا الكتاب الذي بين يديك استشهدنا فيه بأفكار صائبة لعدد من الكتاب والمفكرين ، وربما بيننا وبين الأفكار الأخرى لبعضهم بُعْدَ المشرقين . .

نعم . . نستورد الآلات والمصانع والخبرات ، ولكن لا نستورد معها الأفكار إلا إذا كانت تنسجم مع الفكر الإسلامي ومنهجه . . فهناك بون شاسع بين ديننا ودينهم ، ومناهجنا الفكرية ومناهجهم ، وأوضاعنا الاجتماعية وأوضاعهم. عندهم اصطدم العلم بالكنيسة ، فكفر الناس بالدين . . لم يحدث هذا عندنا.

---

(١) النحل : ٨ .
(٢) الأنفال : ٦٠ .
(٣) رواه الترمذي .

عندهم أساطير يونانية أثرت في طريقة تفكيرهم ، وفي تصورهم للألوهية .. لم يحدث عندنا شئ من هذا القبيل . .

حُرِّفت كُتبهم المقدسة . . عندنا كتاب الله لم يُبَدَّل فيه حرف . .

إذن ففلسفتهم مرفوضة ، وأخلاقهم مرفوضة ، وعقائدهم مرفوضة ، ونظمهم الاجتماعية أيضاً مرفوضة ، وعلى الجملة كل ما يمس العقيدة من قريب أو بعيد محظور في أرض الإسلام ، ومرة أخرى : « الحكمة ضالة المؤمن يأخذها ممن سمعها ، ولا يبالي من أي وعاء خرجت » .

* * *

• دور علماء الإسلام في بناء الحضارة :

أُلِّفَ في هذا الموضوع مجلدات ، ولذلك فإننا سنعرض عليك شهادات من أهل هذه الحضارة المادية الذين أعجبوا بالعقلية المسلمة الفذة ، فلم يملكوا سوى أن ينسبوا الحق لأهله . .

يقول المستشرق « سخاو » : « إن البيروني من أضخم العقول التي ظهرت في العالم ، وإنه أعظم علماء عصره ، ومن أعظم العلماء في كل العصور »[1] .

ويقول المستشرق الأمريكي « أريو بوب » : « في أية قائمة تحوي أسماء أكابر العلماء ، يجب أن يكون لاسم البيروني مكانه الرفيع ، ومن المستحيل أن يكتمل أي بحث للرياضيات أو الفلك أوالجغرافيا أو علم الإنسان أو المعادن دون الإقرار بمساهمته العظيمة في كل علم من تلك العلوم . .

---

(١) تاريخ العلم للدكتور عبدالحليم منتصر ص ١٥٤ .

إنه لفي الإمكان تجميع عدد كبير من الاقتباسات من مؤلفات البيروني كتبها منذ ألف سنة ، وهي تسبق كثيراً من المناهج والمواقف العقلية التي يُفترض أنها حديثة » [١] .

« ولقد أصدرت أكاديمية العلوم السوفييتية سنة ١٩٥٠ مجلـــــدا بعنـــــوان « البيروني » نُشر تحت إشراف المستشرق « تولستوف » بمناسبة مرور ألف سنة هجرية على مولده ، كما صدر في الهند المجلد التذكاري للبيروني سنة ١٩٥١ يحوي عشرات البحوث ، والمقالات عن البيروني وذلك احتفالاً بذكراه واعترافاً بفضله » [٢] .

ويقول العلاّمة « أرنولد توينبي » في كتابه « دراســة في التاريـــــخ » : « وضع ابن خلدون في مقدمة تاريخه ، فلسفة للتاريخ ، ولا شك في أنها أعظم عمل من نوعه ابتكره عقل في أي زمان أو مكان » [٣] .

ويقول العلامة « ول ديورانت » في كتابه « قصة الحضارة » : « ولما مات الواقدي ، ترك ستمائة صندوق من الكتب يحتاج كل منها إلى رجلين لحمله ، وربما ملك الصاحب بن عباد من الكتب في القرن العاشر ما يقدر حينئذ بما كـــان في مكتبات أوروبا مجتمعة ، وبلغ الإسلام في ذلك الوقت أوج حياته الثقافية، وكنت تجد في ألف مسجد منتشر من قرطبة إلى سمرقند ، علماء لا يحصيهم العدد وكانت تدوّي أركانها بفصاحتهم » [٤] .

ويقول « مايرهون » في كتابه « تراث الإسلام » : « رفي ذلك العصر . . عصر القوة العظمى ، وجلال الحكم الإسلامي ورخائه ، أشرف رجل مسلم بهـامة

---

(١) تاريخ العلم ص ١٥٤ . (٢) المرجع السابق ص ١٥٥ .

(٣) مآثر العرب على الحضارة الأوروبية لجلال مظهر ص ١٦٤ .

(٤) المرجع السابق ص ٤٢ .

الجبار ، وألقى بظله على العالم في القرون الوسطى في الشرق وفي الغرب ، هو ذا جابر بن حيان » .

وقال الدكتور « چوستاف لوبون » في كتابه « حضارة العرب » : « أما الأبحاث التي أجراها المسيو « رينو » والمسيو « فافيه » والتي سبقهم إليها « كاسيري » ، و« أندريه » و « ڤياردو » ، فأثبتت بوضوح أن البارود ذا القوة الدافعة باعتباره مادة متفجرة تعمل على دفع القذائف . . اختراع عربي أصيل لم يشارك العرب فيه أحد » [1] .

ويقول « سيديو » في « تاريخ العرب العام » : « ولقد رأينا أنه منذ القرن التاسع حتى الخامس عشر ، قد تكونت مجموعة من أكبر المعارف الأدبية في التاريخ ، وظهرت مصنوعات ومنتوجات متعددة ، واختراعات ثمينة تشهد بالنشاط الذهني المدهش في هذا العصر ، جميع ذلك تأثرت به أوروبا بحيث يؤكد القول بأن العرب كانوا أساتذتها في جميع فروع المعرفة » [2] .

تلكم أمجاد المسلمين . . وهؤلاء آباؤنا . .

أولئك آبائي فجئني بمثلهم إذا جمعتنا يا جرير المجامع

ولقد استعرضت هنا هذه الشهادات كمحاولة لإخراج عقدة النقص التي ابتلينا بها ، فإذا شُخِصَ الداء سهلت معرفة الدواء . .

إن العالم الإسلامي اليوم ما زال قادراً بعقول بنيه على انتزاع مركز القيادة والتوجيه ليصبح محور الدنيا كما كان في أمسه المجيد . .

لا ينقصنا شئ من مقومات الحضارة المادية . . .

عندنا العقول . . عندنا الثروة البشرية . . عندنا المال . . عندنا الخبرات . عندنا الموقع الاستراتيجي . . .

---

(١) المرجع السابق ص ٤٢ .

(٢) المرجع السابق ص ١٨٥ ، ١٦٨ .

إذن لماذا تخلّف العالم الإسلامي عن أمم الأرض . . ؟ !

لأنه ينقصنا أهم شئ وأخطر شئ ألا وهو الإيمان بالله بالمعنى الحقيقي . . نعم الإيمان بالله وحده هو الذي يستطيع أن يُفَجِّر هذه الطاقات ، ويومها سيعود المسلمون خير أمة أُخرجت للناس . .

يقول « مرماديوك بكتل » : « إن المسلمين يمكنهم أن ينشروا حضارتهم في الدنيا الآن بنفس السرعة التي نشروها بها سابقاً إذا رجعوا إلى الأخلاق التي كانوا عليها حين قاموا بدورهم الأول ، لأن هذا العالم الخاوى لا يستطيع الصمود أمام روح حضارتهم » .

ولله الأمر من قبل ومن بعد . .

* * *

تربية الضمير

لا يتم بناء الأمم إلا ببناء الرجال ، وبناء الرجال لا يتأتى بدون ضمير حي يقظ ، ولا يُربَّى الضمير إلا في ظل العقيدة . .

إن الضمير هو المحكمة الإلهية في النفس البشرية . . المحكمة التي تصدر أحكاماً فورية لا تقبل نقضاً ولا استئنافاً . .

فإذا ما أحسن الإنسان وأجاد كان الأجر راحة في النفس ، وسعادة في القلب، ورضا وسروراً ولذة وحبوراً . . وإن كانت الأخرى كان الجلد بدون جلاَّد، ولذع السياط بلا سياط . . قلق . . أرق . . تمزق . . شعور بالذنب يَقُضُّ المضاجع ، ويمنع لذة الكَرى عن الأجفان . .

إنه النفس اللَّوامة التي أقسم بها الحق عز وجل في كتابه فقال :﴿ لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ * وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴾[1] .

إنه القلب الذي عناه الرسول ﷺ في قوله : « البر ما اطمأنت إليه النفس ، واطمأن إليه القلب ، والإثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر ، وإن أفتاك الناس وأفتوك »[2] .

ويُخطئ من يعتقد أن للضمير مدرسة يُربَّى فيها غير مدرسة العقيدة ، ولذلك نجد أن محمداً ﷺ ربَّى الرجال على مراقبة الله وخشيته ، ثم فتح بهم الدنيا بعد ذلك . .

لم يُربِّهم في منظمات ولا أحزاب ، ولا معاهد للاشتراكية ، وإنما ربَّاهم على مائدة القرآن الذي يهدي للتي هي أقوم .

﴿ يَابُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ ، إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾[3] .

---

(١) القيامة : ١ ، ٢ .

(٢) من حديث رواه أحمد والدارمي بإسناد حسن .

(٣) لقمان : ١٦ .

علّمهم أن اللّه مُطّلع على خفايا النفوس وأسرار القلوب ، فهو بكل شئ محيط، ولو كان هذا الشئ مثقال حبة من خردل في داخل صخرة صماء ملساء فعلمُها عند اللّه . .

ولقد ثبت بما لا يدع مجالاً للشك أن المجتمعات التي تظن أنها بالقوانين الأرضية ورجال الشرطة ، وشرطة الآداب تستطيع أن تجعل المجتمعات في حالة انضباط دائم . . هذه المجتمعات واهمة . .

فما من يوم يَنْشَقُّ فجره إلا وتُطالعك صفحات الصحف وهي تسيل بأخبار الاختلاسات والسرقات والعُمولات والكسب غير المشروع ، وإحصاءات رهيبة للشركات التابعة للدولة والتي حقّقت بجدارة أبشع أنواع الخسارة . .

عصابات خطف النساء لهتك أعراضهن . .لن تُعالج بالشرطة . .

عصابات حرق المصانع والعُهَد . . لن تُعالج بالقوانين الأرضية . .

عصابات التزوير والنصب على البسطاء والسذج . . لن تُعالج بالتشريعات الوضعية . .

شبكات السرقة المنتشرة في طول البلاد وعرضها . . لن يجدي تتبع رجال الاستخبارات لها . .

ويكون مثلنا في معالجة هذه الظواهر المدمرة كمريض بالزائدة الدودية يحتاج إلى مبضع الجراح . . فتُعمل له كمادات ساخنة عساها أن تُخَفِّف الألم . . إن المريض سيموت قبل التفكير في استدعاء الطبيب . . !!

والعلاج . . هو الإسلام . . والإسلام وحده . .

ماذا يصنع التشريع الوضعي في: المدرس الذي لا يراقب اللّه في عمله ، ويهمل إجادة عرض دروسه ، ليجد التلميذ نفسه مضطراً إلى درس خاص..؟

والطبيب الذي يُهمل فحص مرضاه في المستشفى ليضطرهم إلى الذهاب إليه في عيادته الخاصة . . ؟

والموظف الذي يتقاضى الرِشوة لينجز أعمال المراجعين ؟

والعامل الذي يخرج العمل من بين يديه مختلاً وفي استطاعته الإتقان والإحسان . . ؟

والمحامي الذي يستغل ثغرة في القانون الوضعي ليلبس الباطل ثوب الحق ؟

و ..... و ..... و ..... و الواوات لا تنتهي .

ولا ترجع الأنـفس عـن غيـــــها مالم يكن منـــها لها زاجـــــــر

وضعنا الخطط الخمسية والعشرية ، وكتبنا المواثيق والورقات ، وركّزنا على الإنسان كجسد . . كطين . . ككم من اللحم ، لا كيف من العقل والروح والخُلق، وظننا أننا بالأعداد الغفيرة التي تُفرخها المدارس والجامعات قد أصبحنا شيئاً في دنيا الناس . . ولم نعلم أن العلم وحده بلا خُلُق ، بلا ضمير ، بلا مراقبة للّه وخوف من عقابه ، يصبح من أسرع وسائل الهدم والخراب والتفتن في صنع الجريمة ، ويصبح دور معاهد التعليم تخريج أفواج مشوهة ، منحرفة عن الفطرة التي فَطَرَ اللّهُ الناس عليها . .

ولقد صدق « تيودور روزفلت » رئيس أمريكا الأسبق حين قال : « إن الرجل الذي لم يذهب إلى المدرسة قط قد يسرق عربة قطار ، أما إذا كان قد استوفى حظه من التعليم الجامعي ، فإنه يسرق الخط الحديدي كله » .

ولقد قرأنا جميعاً عن الجريمة الشنعاء التي ارتكبها رجل إنجليزي قتل خليلته الحسناء بعد أن عاشرها خمس سنوات ثم قَطَّعَ جسدها إرباً إرباً ووضعه في حوض مملوء بحمض الكبريت ، ليذوب جسدها تماماً . .

فانظر ماذا يصنع العلم بلا ضمير ؟

ولننظر إلى الضمير في أوروبا وكيف خربته حضارة المال والجنس ، وأقرب

مثل على هذا الخراب عندما انقطع التيار الكهربائي ساعة عن نيويورك . . لقد حدث انفجار في السلب والنهب والسطو في أعماء الظلام ، وكأن جموع الشعب قد تحوّلت إلى عصابات من اللصوص وقُطاع الطرق . .

أين حدث هذا ؟ إنه حدث في عاصمة الدنيا وقمة الحضـــارة . . فـــي « نيويورك » !!

ولعلك قرأت عن « ب . ب . » بريچيت باردو التي تزعمت الدعوة المقامة في مرسيليا ضد الدكتور « شارل » الذي يجري التجارب على الحيوانات وهي ما زالت حية : « يقوم بأفعاله - حسب أقوال بريچيت - في ظروف فظيعة ، وهي تتساءل في ألم : هل يجب التضحية بالحيوان في سبيل الإنسان » ؟

هل رأيت الرقة ؟ هل رأيت العذوبة ؟

هل رأيت إلى أي مدى وصل خراب الضمير الذي لا يستيقظ لقتل آلاف البشر - لا أقول المسلمين - في أنحاء المعمورة ، ولا يستيقظ لتشريد الملايين الذين يفترشون الجليد ويلتحفون البؤس والمسغبة . وفي الوقت نفسه يذوب من رهافة الحس على الحيوان » [1] ؟ !

﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً ﴾[2]

وبعد . .

فإنه لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها . . لقد كانت تبلغ يقظة الضمير في المسلم إلى درجة لا يمكن أن يُوجَـــدْ لها نظيـــر إلا في مجتمع يتربى على الإسلام منهجاً وسلوكاً . .

---

(١) نعم بأمرنا الإسلام بالرفق بالحيوان ولكن الإنسان أولى . (٢) الكهـــف : ١٠٣ - ١٠٤ .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : أتى رجلٌ رسولَ اللّه ﷺ وهو في المسجـد ، فناداه فقال : يارسول اللّه ، إني زنيت ، فأعرض عنه - ردد عليه أربع مرات - فلما شهد على نفسه أربع شهادات . . دعاه النبي ﷺ فقال : « أبكَ جنون » ؟ قال : لا ، قال : « فهل أحصنت » ؟ قال : نعم ، فقال النبي ﷺ : « اذهبوا به فارجموه » [1] .

وعن أبي نجيد عمران بن الحصين الخزاعي رضي الله عنهما أن امرأة من جُهينة أتت رسولَ اللّه ﷺ وهي حُبلى من الزنا ، قالت : يارسول الله ، أصبت حداً فأقمه عليّ ، فدعا نبي اللّه ﷺ وليها فقال : « أحسن إليها ، فإذا وضعت فأتني » ، ففعل ، فأمر نبي اللّه ﷺ فَشُدت عليها ثيابها ، ثم أمر بها فَرُجمت، ثُم صلّى عليها ، فقال له عمر : تُصَلّي عليها يارسول اللّه وقد زنت ؟ قال : « لقد تابت توبة لو قُسِّمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم . وهل وجدت أفضل من أن جادت بنفسها للّه عز وجل » [2] .

صور مشرقة للضمير الحي اليقظ الذي تَربّى في مدارس الإيمان . .

فمتى نفقه ؟

متى نتعلم ؟

متى نعلم أن المجتمع الذي تُخضعه الأساليب « البوليسية » هو مجتمع من العبيد ؟

* * *

(١) متفق عليه .

(٢) رواه مسلم .

تعليم الجنس

« علّموا أولادكم الجنس » آخر صيحة في العالم الإسلامي وفاءً بالعهود التي قطعها الشرق على نفسه بأن يترسم خُطى الغرب شِبراً بشبر وذِراعاً بذراع .

وعندما أسمع وأقرأ هذه الصيحات ، فإنني أتذكر - على الفور - أبا نواس حين رفع عقيرته قائلاً :

دع عنك لومي فإن اللّوم اغراء ودواني بالتي كانت هي الداء

وقول الأعشى إذ يقول :

وكأس شربتُ على لَذّةٍ وأُخرى تداويتُ منها بها

فالشفاء من الخمر مزيد من الخمر ، والشفاء من الجنس مزيد من الجنس ، وعلاج المريض بالتُخمة مزيد من الطعام حتى يموت . .

هذا هو منطق سَدَنَة الجنس في بلاد المسلمين . . ومعاذَ اللّه أن تكون هذه الصيحة من بنات أفكار علمائنا الكبار ، ولكنها للأسف أفكار مستوردة من الغرب المنهار ، والمسألة بالنسبة إليه مسألة وقت لتذهب حضارته المادية إلى حيث ألقت رحلها أم قشعم . .

والشئ العجيب والمُذهل حقاً أن أية « مودة » في العالم سواء أكانت فكرية أم مادية يتلقفها سدنة الغرب عندنا بعد أن تصبح « مودة قديمة » لنبدأ من حيث بدأوا ، لا لنبدأ من حيث انتهوا ، وكأننا - في وضعنا الراهن - قد غزونا الفضاء ، وصنعنا القنابل الذرية ، وصرنا في مقدمة رَكب البشرية ، ولم يبق إلا « تعليم الجنس » .

وهاكم النتائج في بلاد الجنس :

في السويد يتعلم الأطفال الجنس من السابعة حتى السادسة عشرة ، فماذا كانت المحصلة ؟ كل فتاة هناك تستطيع أن تدعو أي شاب تريده في بيتها

وعلى مسمع ومرأى من أبيها وأمها وإخوتها وأخواتها ، وبالتالي . . انخفضت نسبة الزواج . . عدد ضخم من المواليد غير الشرعية . . إحصاءات مُرَوِّعة عن الانتحار والجنون . . تحولت مصحات الأمراض الصدرية إلى مستشفيات للأمراض النفسية والعقلية . .

فهل نجح تعليم الجنس - ياسادة - في إنقاذ الشباب من الضلال الجنسي ، وصحَّح عندهم المفاهيم الجنسية ، ووضع الطاقة الجنسية على طريقها الصحيح .. أم كان تعليم الجنس هو الوقود الذي يُلقي به في جحيم الشهوة لتقول هل من مزيد . . ؟ !

« كتب القاضي « بن لندسي Ben Lindsey » الذي قد أتيح له الاطلاع الواسع على أخلاق النشء الأمريكي ، لكونه رئيساً لمحكمة جنايات الصبيان « Juvenile Court » بدنفر « Denwer » كتب في كتابه « تمرد النشء الجديد Revolt of modern youth » : « إن الصبية في أمريكا قد أصبحوا يراهقون قبل الأوان ، ومن السن الباكرة جداً يشتد فيهم الشعور الجنسي » . وبحث هذا القاضي عن أحوال ٣١٢ صبية على سبيل النموذج . . فعلم أن ٢٥٥ صبية منهن - كن أدركن البلوغ فيما بين الحادية عشرة والثالثة عشرة من سني أعمارهن - يوجد فيهن من أمارات الشهوة الجنسية والمطالب الجسدية ما لا يكون عادة في بنات الثامنة عشرة فمن فوقهن سناً »[1] .

وكذلك يذكر الدكتور «أديث هوكر Edith Hooker» في كتابه « القوانين الجنسية « Lews of Sex » أنه ليس من الغريب الشاذ حتى في الطبقة المثقفة أن بنات سبع أو ثمان سنين منهن يخادِنُ لُداتُهِنَّ من الصبية تلوُّثَ معهم بالفاحشة . . .[2] .

---

(١) الحجاب ص . . ١ وما بعدها .

(٢) المصدر السابق .

ويعلق كاتب أمريكي على هذا فيقول : « إن الأوضاع التي يعيش فيها معظم أناسنا في هذه الأيام تبعد عن الفطرة بعداً يجعل الفتية والفتيات يشعرون بدبيب الحب في نفوسهم من السن الخامسة عشرة ، وساء ذلك مصيراً ، لأن الولوع بالأمور الجنسية الناشئ فيهم قبل الأوان قد يعود عليهم - بل هو دائماً يعود - بأسوأ ما يكون من النتائج ، وأهونها أن البنات في سن الصبا يفررن مع أخدانهن ، أو يتزوجن في السن الباكرة ، وينتحرن إن هن لقين في غرامهن الخيبة والفشل »[1] .

وعن كتب الجنس المقررة في بعض مدارس بريطانيا تقول صحيفة « تربيبون »:

« إن الأطفال في سن الثامنة أصبحوا يتلقون التربية الجنسية في بعض مدارس مختارة من المدارس الإنجليزية . .

وهناك خمسة من الكتب الجنسية يختلف بعضها عن بعض في المستوى ويتعلم منها التلاميذ والتلميذات منذ هذه السن : الحمل عند الإنسان والحيوان.

والكتابان الثاني والثالث منها مخصصان لتلاميذ وتلميذات السنة العاشرة إلى الرابعة عشرة ، ويعلمان الفروق بين الذكورة والأنوثة . .

والكتابان الرابع والخامس يعلمان الأمراض السرية ، والمسئولية الاجتماعية الجنسية والانحراف الجنسي ، ثم لمن هم فوق السادسة عشرة يُعَلَّمَان طرق الوقاية من الحمل »[2] .

هذه نوعية من الثقافة الجنسية التي يريد بعضهم منا أن نُزَوِّد بها أبناءنا ، بل يذهب بعضهم الآخر إلى أبعد من هذا فيقول للآباء : بأنه لا مانع من أن يُبَدِّل الأب ملابسه أمام ابنته الصغيرة المميزة التي تدرك معنى العورة . .

---

(١) الحجاب ص . . ١ ، وما بعدها .

(٢) الفكر الإسلامي ص ٢٥٧ .

تعالوا بنا إلى بريطانيا التي طبقّت المناهج السابقة لنرى دراسة نسائية من قلب بريطانيا تهاجم تعليم الجنس وترفضه بشدة لمردوده الخطير على النشء هناك . .

تقول الصحيفة التي قامت بعرض الكتاب : « صدر في لندن كتاب جديد أثار ضجة بين الآباء والأمهات . . الكتاب يدعو إلى رفض تعليم أولادهم الجنس في المدارس ، وإلى العودة إلى الفضيلة وإلى التقاليد ، وإلى احترام الفتيات لأنفسهن ، والبعد عن موجة الإباحية التي سادت لسنوات طويلة في دول الغرب . .

يقول الكتاب : « إن الرجل مهما كان تفكيره يُفَضِّل أن يتزوج من فتاة لم تجعل نفسها في متناول يد الآخرين ، وإن القول بأن « الموضة » هي تعلم الجنس وإباحة الحديث عنه وإطلاق اسم الواقعية عليه ، هذا الأسلوب هو مجرد هَراء ولغو فارغ . .

وضع هذا الكتاب سيدتان هما الدكتورة « مارجريت وايت » و « چانيت كيد » وقد طلبتا من كل فتاة رفض دعوة أى رجل تشم منه رائحة ممارسة حياة الفوضى . . وطالبتا الآباء بأن يُعَلِّموا أولادهم منذ الصغر على الحياء في مناقشة الأمور الجنسية ، والابتعاد عن الموجـــة المـــدمرة التي تطـــالب باسم « المودة » بنشر التعليم الجنسي في المدارس ، والذي بدأ فعلاً في العديد من المدارس الأوروبية » . .

ويعالج الكتاب مرحلة خطيرة في حياة الفتيات هي مرحلة المراهقة . .

فعندما تبلغ الفتاة من العمر ١٦ عاماً . .يكون من الصعب عليها اتخاذ قرار حازم تجاه هذه الأمور . . وغالباً ما تجد نفسها مُضَلَّلة وتتحرك وفقاً لعواطفها وليس وفقاً لعقلها . .

وتقول المؤلفتان في كتابهما الذي يحمل عنوان « التعاليم الحقيقية للجنس »: إن الآباء والأمهات يجب أن يَتَقَرَّبوا من الأبناء بشكل يجعل من السهل توافر الثقة والاقتناع العقلي ، ويجب أن يزرعوا فيهم بدلاً من الخوف من الجنس . .

حب النقاء والطهارة تمهيداً لحياة زوجية نظيفة . . وعليهم أيضاً أن يقنعوهم بأن التحرر من القيم والأخلاق لا يمكن أن يجعل أياً من الجنسين يثق في الآخر . .

وذكر الكتاب : أنه قد تقع فتاة في تجربة حب مع شاب ما ، وقد تُبَلِّغ والدتها ببداية هذه القصة ، ولكنها تُخفي عليها فيما بعد التفاصيل الأخرى ، وتكون بذلك قد وقعت في مشكلة وحدها . . وتجد نفسها تتخرط في حياة تفقد فيها احترامها لنفسها واحترام الآخرين لها . .

وتذكر الدكتورة « جروترود » أنها استجوبت ١٦ فتاة في سن المراهقة . . كيف يتصرفن وهن في بداية حياتهن ؟ هل يقلن : لا ، لأول طلب يتلقينه من أول رجل في حياتهن ؟

وكانت الإجابات متنوعة . . اكتشفت خلالها الدكتورة « جروترود » أن الكثير من الفتيات كن ضحايا مدارس تعليم الجنس . . وأصبحن لا يحترمن القيم والتقاليد ، وأن إجراء تغيير في النظم التي سمحت بإهدار القيم والتقاليد التي عاشت عليها الفتيات من آلاف الكتب والمحاضرات ، والصور والأفلام التي تدفعهن وراء عالم يُلقي بهن إلى أسفل الحدود . .

ودعا الكتاب إلى ضرورة صحوة الآباء والأمهات للعودة إلى مجتمع القيم والتقاليد . .

وتقول إحدى الباحثتين في نهاية بحثها : إننا يجب ألاَّ نظلـــم الرجل ونقول إنه المسئول عن هذا التدهور . . فالرجل - مهما كان تفكيره ومهما كان متحرراً يُفَضِّل في قرارة نفسه أن يتزوج من فتاة ذات قِيَم . . وتحترم شخصيتها ، ولاتُلقي بنفسها في وحل الخطيئة . .

ولا يحترم الرجل فتاة ترقص مع كل الرجال . . وإنما يحترم فتاة تجلس في حلبة الرقص وأمامها عشرات العروض من رجال آخرين لتشاركهم الرقص ، ولكنها ترفض . .

إن البشرية منذ القدم . . تقوم على أساس أن الرجل يجد ذاته في امرأة واحـــدة ، أما التعدد ، فهذا ليس من طبع ما توارثته البشرية من تقالـــيد وقيـــم »[1] . وكأن هذه الأفكار التي وردت في هذا الكتاب قد نُقلت نقلاً عن روح الإسلام في بناء المجتمع . . ولا غرو في ذلك ، فالبشرية بعد أن تُجَرِّب النظريات الوضعية ، ويلحقها الدُوار من تجاربها ، وتشعر أنها قد أفلست ، إذا بها تجد نفسها في الإسلام !

﴿ فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ، لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ، ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾[2] .

وأظن أن دعاة الجنس والداعين إلى تعليمه بالأساليب الغربية - اقتنعوا تماماً بأنهم يستوردون « الموادات » بعد أن تصبح قديمة ، وبعد أن تُثبت فشلها الذريع . .

وجل هؤلاء عندما يكتبون عن الجنس فإنهم ينقلون نقلاً عن كتب الغـــرب ، أو يستلهمون روحهم على الأقل ، وما دام الكاتب قد وضع صورة عارية على الغلاف ، وعدة مناظر تصف أعضاء الرجل والمرأة ، وغشاء البكارة ، ووسائل منع الحمل فإنه بذلك يكون قد أنقذ الشباب من دياجير الجهل الجنسي ، وحَلَّ لهم مشكلات الجنس . .

وتراهم يعرضون في كتبهم ومجلاتهم نماذج من الرسائل تُوَضِّح أن الشباب في ضلال جنسي مبين ، وأن المجتمع قد جني عليهم ، وأنهم ضحية الجهل الجنسي.

وإننا ننصح الداعين إلى تعليم الجنس بالصورة السابقة ، وبالذات « دكاترة » المجلات الجنسية ، بأنهم سيقعون فيما وقع فيه « سيجموند فرويد » عندما عُمِّم حكم المرضى على الأصحاء . .

---

(١) الأخبار في ٣ من سبتمبر سنة ١٩٧٦ .

(٢) الـــــروم : ٣٠ .

نـــعـــم . . هناك شباب عنده أمراض تتصل بالجنس ، وهي حالات فردية تُعالَج عند المختصين ، وليس بسبب هذه القلة أن يصبح شبابنا - عن بَكرةِ أبيه - مصاباً بالأمراض الجنسية . .

ولو أننا درسنا « التربية الجنسية » بالصورة المزعومة ، وَعَلَّمناها التلاميذ والتلميذات ، فهل يستطيع أحد جهابذة الدعاة إلى الجنس وتعليمه أن يضمن لنا أن الفتى والفتاة لن تحدثهم أنفسهم بالتجربة ، ليكتشفوا سراً من الأسرار التي طالما شُحنت بها عقولهم ، وغُذِّى بها خيالهم خاصة في هذا الجو الرهيب الذي كل شئ فيه يدعو إلى الجنس ، ويحضُّ عليه ، وييسر سُبل الوصول إليه . .

وقد أدركنا مما سلف ماذا كانت نتيجة البيئات المهيجة ، وكيف أن الأطفال قد أصبحوا يبلغون الحُلم قبل أوان البلوغ ، وذلك من شدة الطرق الرهيب . . والمثيرات الجنونية والفضائح التي تملأ أسماع وأبصار وأفئدة الصغار والكبار .

فما بالكم لو أنه درس . . ؟ ! !

* * *

منهج الإسلام في التربية الجنسية

لم يترك الله - عز وجل - الإنسان يتخبط في أي شأن من شئون الحياة . . يستوي في ذلك الحقير فيها والجليل ، وكيف ذلك وهو الذي شمله بعنايته ورعايته ، منذ أن كان نطفة في ظلمات الرحم إلى أن يصير في ظلمات القبر ؟

﴿ مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ * ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ * ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ﴾(١)

والعجيب حقاً - وأكثر ما نحن فيه يدعو إلى العجب - أنني قرأت طائفة من كتب علم النفس ، وركزت فيها على موضوع التربية الجنسية ، وانتظرت أن يشير أحد إلى أن توجيهات الإسلام - فيما يتصل بالجنس - كافية لكل ما يمكن أن يُلَقَّن من معارف متكاملة متسلسلة في مراحل حياة الإنسان من الطفولة إلى الرجولة - فأرجع بُغْصَة في حلقي اللّهم إلا القليل من وعاة الباحثين الذين يُدركون أن الإسلام ليس جملة من المواعظ تدعو إلى الأخلاق فحسب ، وإنما هو منهاج حياة كامل . .

وغالب ظني أن هؤلاء الذين لم يشيروا إلى منهج الإسلام - في التربية الجنسية - لم يقرأوا أصلاً في الإسلام ، وليس عندهم أية خلفيات عنه . . وهو جهل لا يُعذرون به ! !

إن الإسلام متمثلاً في الكتاب والسنة ، تَحدَّث عن أصل الإنسان وأطوار خلقه في بطن أمه فقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ ، فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾(٢) .

---

(١) عبس : ١٩ - ٢١ .

(٢) المؤمنون : ١٢-١٤ .

وعن مواضع إفراز المني :

﴿ فَلْيَنْظُرِ الإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ * يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴾[1] .

وتحدَّث عن كل ما يحتاجه الإنسان من معارف في هذا السبيل ، وليس هناك داع لأن نُكرر ما ذكرناه مبثوثاً بين صفحات هذا الكتاب . .

ومن الأدب الرفيع الذي ربَّى الله به المؤمنين ليُربُّوا به أبناءهم قوله تعالى :

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَاتٍ ، مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ، ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ ، لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ ، طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ ، كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * وَإِذَا بَلَغَ الأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ، كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[2] .

ففي هاتين الآيتين أدَّب الله عز وجل المسلمين بآداب حكيمة ، وهو أنه لا بد للأطفال المميزين الذين لم يبلغوا الحُلم أن يستأذنوا على أهليهم في هذه الأوقات الثلاثة ، لأنها مظنة رؤية العورات ، إذ هي أوقات الراحة ، وخلع الثياب أو تبديلها أو قضاء الحاجات بين الرجل وزوجته . .

فالعليم الخبير بخفايا النفوس يضع هذه الموانع والضوابط ، حتى لا نستلفت أفكار الأطفال ، ونشغلهم قبل الأوان بمثل هذه المعاني ، والطفل في هذه السن تنشط عنده غريزة حب الاستطلاع ، واكتشاف العالم من حوله ، وقد مرَّ بنا كيف أن الأطفال يبلغون قبل الأوان نتيجة لمخالفة أدب الإسلام في التربية والتوجيه .

---

(١) الطارق : ٥ - ٧ .

(٢) النور : ٥٨ - ٥٩.

وعندما يبلغ الطفل الحُلُم ، لا يتركه الإسلام يتخبط في الأمور المتعلقة بالجنس ، والتي لا بد له من الإحاطة بها كواقع يعيش في النفس البشرية وتعيش فيه ، فالطفل قبل البلوغ يتعلم [1] نواقض الوضوء ، ويتعلم - كتهيئة لمرحلة البلوغ - أن البلوغ هو مناط التكليف ، والمؤاخذة من الله وتحمُّل المسئولية . . مسئولية الإنسان نحو نفسه ومجتمعه ، ويتعلم أن الاحتلام من مُوجبات الغُسل ، والاحتلام أمر طبيعي يحدث للرجل والمرأة على السواء ، وهو ليس خطيئة ولا جريمة تترك مخلفاتها في نفس الفتى أو الفتاة ، وتتعلم الفتاة أن انتهاء الحيض من مُوجبات الغُسل ، وأنه علامة على اكتمال الأنوثة وتحمُّل المسئولية . وليس سبباً في تكوين العُقَد النفسية أو المُخَلَّفات الوهمية كما يَدَّعى المروِّجون لتعليم الجنس . .

ونجد النبي ﷺ يُلَقِّن هذه المعلومات التي لا بد من معرفتها لسلامة الدنيا والآخرة - يلقنها دون تحرج أو تعقيد . .

روى أبو داود : « أن أُم سليم الأنصارية أُم أنس بن مالك قالت : يارسول الله ، إن الله لا يستحي من الحق ، أرأيت المرأة إذا رأت في المنام ما يري الرجل أتغتسل أم لا ؟ قالت عائشة : فقال النبي ﷺ : « فلتغتسل إذا وجدت الماء » ، قالت عائشة : فأقبلت عليها فقلت : أُفٍ لكِ : وهل ترى ذلك المرأة ؟! فأقبل عليّ رسول الله ﷺ فقال : « تربت يمينك ياعائشة ، ومن أين يكون الشبه » ؟!

وهكذا كان رسول الله ﷺ يُسأل ويجيب دون حرج منه أو من السائل أو السائلة في هذه الشئون حتى أن السيدة عائشة رضي الله عنها في حديث

---

(١) قال الإمام الشافعي والأصحاب : على الآباء والأمهات تعليم أولادهم الصغار ماسيتعين عليهم بعد البلوغ ، فيعلِّمه الولي الطهارة والصلاة والصوم ونحوها ، ويُعرِّفه تحريم الزنا واللواط والسرقة وشرب المسكر والكذب والغيبة ، ويُعرِّفه أنه بالبلوغ يدخل التكليف ويُعرِّفه ما يبلغ به . .

أسماء بنت يزيد عندما سألت النبي ﷺ عن الغُسل وعن كيفية تَتَبُّع أثر دم المحيض بالتطهير - قالت السيدة عائشة : « نِعْمَ النساءُ نساءَ الأنصار ، لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين » .

وإذا رجعنا إلى كتب الفقه الإسلامي ، وجدنا أن علماء الإسلام تحدثوا عن آداب المباشرة الجنسية بين الرجل وزوجته وذكروا هَدى رسول الله ﷺ في هذه الأمور وما ذكره العلماء في هذا المجال قد يملأ كتباً كاملة . . وعلى سبيل المثال : « يقول ابن قدامة في مختصره على منهاج القاصدين لجمال الدين بن الجوزي في معرض الحديث عن آداب معاشرة الزوجة :

« أن يداعبها ويمازحها ، وقد سابق عليه السلام عائشة رضي الله عنها ، وكان يداعب نساءه ﷺ وقال لجابر : « هلاّ بكراً تُلاعبها وتلاعبك » وأن يكون ذلك بقدر ، ولا يتبسط في الدعابة إلى أن تسقط هيبته بالكلية عند المرأة ، بل ينبغي عليه أن يقصد طريق الاقتصاد » . .

ويتحدث عن آداب الجماع مستمداً ذلك من الكتاب والسنة فيقول :

« يُستحب البداءة بالتسمية ، والانحراف عن القبلة ، وأن يتغطى هو وأهله بثوب . . وألا يكونا متجردين ، وأن يبدأ بالملاعبة والضم والتقبيل . . ومن العلماء من استحب الجماع يوم الجمعة ، ثم إذا قضى وطره فليتمهل لتقضي وطرها فإن إنزالها ربما تأخر . .

ومن الآداب أن تأتزر الحائض بإزار من حقويها إلى ما بين الركبة إذا أراد الاستمتاع بها ، ولا يجوز وطؤها في الحيض ولا في الدُّبُر » . . [1] .

وفي نفس الوقت الذي يتدرج الإسلام فيه في تنمية هذه المعارف الجنسية لدى المسلم ، فإنه يُربِّي فيه العفة والحياء ويدعوه إلى حفظ الفَرْج من أي انحراف ، وينبغي ألا يَغْرُب عن بالنا أن الإسلام يخطط لمجتمع نظيف خال تماماً من المثيرات والمهيجات . .

---

(١) مختصر منهاج القاصدين ص ٧٤ .

ونخلص من ذلك إلى أن التربية الدينية هي الدائرة الوحيدة المأمونة التي يُلَقَّن في محيطها هذه المعلومات متدرجة مع المستوى العقلي والزمني للشاب المسلم ، وليس هناك ما يمنع من أن تتدخل العلوم الأخرى كعامل مساعد في شرح الآيات ، وإلقاء الأضواء على الأمراض الجنسية التي يسببها الانحراف الجنسي ، ويراعى في ذلك الضوابط التي عرضناها في موضوع « دور المسجد في بناء الشباب » .

يقول « موريس بوكاي » الطبيب الفرنسي في كتابه « دراسة في الكتب المقدسة على ضوء المعارف الحديثة » :

« يعتقد عصرنا أنه قام بمكتشفات كثيرة في كل الميادين ، ويظن أنه قَدَّم جديداً فيما يتعلق بالتربية الجنسية ، وأن فتح أبواب الشباب لمعرفة مشكلات الحياة هو من مكتسبات العصر الحديث ، وأن القرون الماضية كانت تتميز ، فيما يخص هذا الموضوع بظلام دامس . . يقول الكثيرون إن الأديان دونما تحديد هي المسئولة عنه ، غير أن ما عرضنا - يشير إلى التناسل الإنساني في القرآن ومقارنته بالعلم - لهو دليل على أنه منذ أربعة عشر قرناً تقريباً سبقت إلى معرفة الناس مسائل نظرية ، إذا جاز القول ، عن التناسل الإنسانى، وذلك بقدر المستطاع ، حيث إنه لم تكن هناك معلومات تشريحية فسيولوجية تسمح بالإفاضة ، كان استخدام لغة بسيطة في متناول فهم مستمعي الرسالة ضرورياً حتى يمكن أن يفهموا ما يُقال » . .

ويقول : « لم تمر الرسالة على الجوانب العلمية مر الكرام ، بل إننا نجد في القرآن حشداً من التفاصيل عن الحياة العلمية وفيما يختص بالسلوك الذي يجب أن يتبعه الناس في عديد من ظروف حياتهم ، ولم يستبعد القرآن الحياة الجنسية . . هناك آيتان قرآنيتان تخصان العلاقة الجنسية ، ويذكر القرآن ذلك بألفاظ تربط بين الرغبة في الدقة والاحتشام اللازم . .

ويستطرد الباحث في الحديث عن قوله تعالى : ﴿ خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ * يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ والتَّرَائِبِ ﴾[1] وكيف أن هذا التعبير أدق من التعبيرات الفرنسية والإنجليزية التي تريد أن تصل إلى هذا المعنى ، ثم يتحدث عن الحيض ، وأهداف العلاقة الجنسية من خلال قوله تعالى : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى . . . ﴾[2] .

وبعد أن استعرض المؤلف جوانب العظمة في منهج الإسلام في التربية الجنسية خلص إلى القول : « وبناء على كل هذا فالمقولات النظرية الخاصة بالتناسل والتوجيهات العلمية التي يصوغها القرآن فيما يختص بحياة الأزواج الجنسية ، نلاحظ أنه ليس هناك أية مقولة من المقولات التي سقناها أعلاه تتعارض مع معطيات المعارف الحديثة ، ولا مع ما يمكن أن يخرج منطقياً عنها » . .

ويقول الدكتور« صموئيل مغاريوس » في كتابه « المراهق المصري » في معرض حديثه عن مصادر المعلومات الجنسية عند الشباب (عن بحث ميداني) يقول : « وقد قرر طلاب المعاهد الدينية أنهم وجدوا الإجابة عن كثير من الأسئلة حول موضوعات الجنس في المناهج الدراسية المقررة عليهم ، وفي كتب الفقه التي تعالج موضوعات الإنزال والإيلاج ومتى يجب الغُسل ، والمسائل المتفرعة من هذه الأصول والحواشي » . .

إذن لن يستطيع أي منهج أن يعطينا في هذا المجال كما يعطينا الإسلام ، وكما يعطينا الله - عز وجل - الذي أعطى كل شئ خلقه ثم هدى . .

وقبل أن نُنهي الحديث في هذا الموضوع الخطير نود أن نقول لأساتذة الطب النفسي الذين يجتمعون في مؤتمرات من أجل الصحة النفسية ، والذين دعوا

---

(١) الطارق : ٦ ، ٧ .

(٢) البقرة : ٢٢٢ .

في واحد من مؤتمراتهم إلى نشر الثقافة الجنسية نقول لهم : كان يجدر بكم أن يكون من بين توصياتكم توجيه نداء إلى الحكومات المسلمة لتهذب وسائل الاعلام فيها لأنها - وأنتم أول من يعرف - أعملت معاول التخريب في النشء وقتلت فيه كل معاني التوافق النفسي والتكيف الاجتماعي . .

إنه بمثل ما نكتب وبمثل ما نُوصي لن يعالَج الفساد الجنسي ، فلنأت البيوت من أبوابها ، وقبل المطالبة بنشر الثقافة الجنسية نطالب بترفيع الجنس وتطهير المستنقعات التي تتسلل منها جراثيم الفساد لتقتل في الشباب روح العفة والسمو . .

المشكلة ليست في حاجة إلى مهدئات مؤقتة لو طالت معالجة المريض بها ستجعل الداء يسري في دمه ليورده موارد الهلاك . .

عالجوا هذه الأمراض التي أصابت الشعوب كبار وصغاراً . .

ارفعوا أصواتكم في وجوه الحكام المسلمين بأن يعودوا بمجتمعاتهم إلى فطرة اللّه التي فَطَر الناس عليها . . إلى الإسلام . . إلى تطبيق شريعة اللّه ، والعيش في ظلها الوارف . . فإن المجتمعات التي تتنكب طريق اللّه هي التي يفوح منها رائحة العَفن الجنسي ، أما المجتمعات المؤمنة ، فهي التي ينتشر شذى الطُهر في جنباتها . . واللّه يقول الحق وهو يهدي السبيل . .

* * *

على من تقع المسئولية ؟

وتسألني : على من تقع مسئولية الفساد في أي مجتمع ؟

أقول لك : إن المسئولية عن الفساد في أي مجتمع ، يشترك فيها الحُكّام والعلماء والشعوب ، و لن يفلت أحد من الثلاثة بأي عذر من الأعذار في يوم العرض على اللّه ..

فالحاكم هو السلطة التنفيذية التي تمتلك التغيير مهما تلاعبنا بالألفاظ ورفعنا الشعارات بعكس هذا المفهوم : « كلكم راع ومسئول عن رعيته » و يَزَع أللّه بالسلطان ما لا يَزَع بالقرآن ، وهذا مفهوم بديهي . .

والعلماء هم ورثة الأنبياء ، وهم الذين عليهم محاربة الفساد مهما كلّفهم ذلك إنطلاقاً من قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاَتِ اللّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلاَّ اللّهَ ، وكَفَى بِاللّهِ حَسِيباً ﴾(١) .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُوْلَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاَّعِنُونَ ﴾(٢) .

والشعوب تُسأل أيضاً أمام اللّه هل أنكروا الفساد وغَيّروا أم عاشوا قطعاناً تسوقها عصا الحاكم . . وقد صوّر القرآن الكريم جملة من مشاهد يوم القيامة التي يتبرأ فيها الحكام الذين استكبروا من شعوبهم الذين استُضْعِفوا . .

وقد عقدنا هذا المبحث لنرد على المتشدقين من المتفلسفين والمتنطعين الذين ضلّوا ويعملون على إضلال الجماهير المسلمة عن حقيقة دور الحاكم في إصلاح المجتمع ، فيقول أحدهم : إن المرأة عندما تلبس الملابس القصيرة ، فإن ذلك من صميم حريتها الشخصية ، وإن « التخنفس » و « التهيبز » والتحلي بالعقود

---

(١) الأحزاب : ٣٩ .

(١) البقرة : ١٥٩ .

والسلاسل هو من صميم التفكير الحر للشباب ، وليس لأحد أن يحجر عليه فيه.

والإسلام يجيب هؤلاء جميعاً بأن الحاكم هو المسئول الأول عن الانحراف المعلن سواء أكان حقيراً أم عظيماً من أي لون كان . .

أتى رسول الله ﷺ بمخنث قد خَضَّبَ يديه ورجليه بالحناء ، فقال رسول الله ﷺ : « ما بال هذا » ؟ قالوا : يتشبه بالنساء . . فأمر به فُنفى إلى النقيع . . فقالوا : يارسول الله ، ألا نقتله ؟ فقال ﷺ : « إني نُهيت عن قتل المصلين »[1] .

وعن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما قال : « لعن رسول الله ﷺ المخنثين من الرجال والمترجلات من النساء ، وقال : « أخرجوهم من بيوتكم » ، فأخرج رسول الله ﷺ فلانة ، وأخرج عمر فلاناً »[2] .

وقد جعل الإسلام للحاكم « عقوبة التعزير » . . وهي عقوبة لم يعين فيها الشارع حداً أو عقوبة معينة ، وجعلها مُفوَّضة إلى رأي الحاكم ، فله أن يُعَزِّر مرتكب المعصية بما يراه ، وبما يتفق مع روح العصر من أنواع العقوبات حتى يستطيع صيانة المجتمع من عبث العابثين . .

وقد ثبت أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يُعَزِّر ويؤدب بحلق الرأس ، والنفي ، والضرب ، كما كان يحرق حوانيت الخمارين ، وحرق باب قصر سعد بن أبي وقاص بالكوفة ، لما احتجب فيه عن الرعية ، وقد اتخذ داراً للسجن ، وضرب النائحة حتى بدا شعرها ، ورأى رجلاً يضع الأحمال الثقيلة فوق جمله فضربه قائلاً له : « حمَّلت جملك ما لا يُطيق » . .

وسأسوق هذه القصة ليتبين شبابنا مدى حرص الإسلام على محاصرة الفساد والفتن والتي يمكن أن يؤدي تركها والتساهل في أمرها إلى تلويث البيئة المؤمنة ونشر الأمراض الخُلُقية في المجتمع المسلم .

---

(١) رواه أبو داود - النقيع غير البقيع . (٢) رواه البخاري والترمذي وأبو داود .

يذكر ابن الجوزي بسنده في كتابه « ذم الهوى » أنه بينما عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه يطوف ذات ليلة في سكك المدينة ، إذ سمع امرأة وهي تهتف في خِدرها وتقول :

هل من سبيل إلى خمر فأشربها أم هل سبيل إلى نصر بن حجاج

إلى فتى ماجد الأعراق مقتبل سهل الـمُحيَّا كريم غير ملجاج

فقال عمر : لا أرى معي في المصر رجلاً تهتف به العواتق في خدورهن . . عليٌ بنصر بن حجاج . فأتى به ، وإذا هو أحسن الناس وجهاً وأحسنهم شعراً ، فقال : عليٌ بالحجام ، فَجَز شعره فخرجت له وجنتان كأنهما شِقتا قمر ، فقال : اعتم ، فاعتم ، فأفتن الناس ، فقال عمر : واللّه لا تساكنني بلداً أنا فيه . فقال: ولم ذاك ياأمير المؤمنين ؟ قال : هو ما قلت لك . . فسيَّره إلى البصرة .

وخشيت المرأة التي سمع منها عمر ما سمع أن يبدر إليها بشئ ، فدسَّت إليه أبياتاً تقول فيها :

قل للإمام الذي تُخشى بوادره ما لي وللخمر أو نصر بن حجاج

إني غنيت أبا حفص بغيرهما شرب الحليب وطرف فاتر ساج

إن الهوى زمَّه التقوى فقيَّده حتى أُقِرُّ بإلجام وإسراج

لا تجعل الظن حقاً أو تبينة إن السبيل سبيل الخائف الراجي

قال : فبعث إليها عمر : قد بلغني عنك خير ، وإني لم أخرجه من أجلك ولكنه بلغني أنه كان يدخل على النساء ، ولست آمنهن . وبكى عمر وقال : الحمد للّه الذي قيَّد الهوى حتى أُقر بإلجام وإسراج !!

ثم إن عمر كتب إلى عامله بالبصرة كتباً ، فمكث الرسول عنده أياماً ، ثم نادى مناديه : ألا إن بريد المسلمين يريد أن يخرج ، فمن كانت له حاجة فليكتب، فكتب نصر بن حجاج كتاباً ودسَّه فى الكتب : بسم اللّه الرحمن الرحيم لعبد اللّه عمر أمير المؤمنين ، سلام عليك ، أما بعد ياأمير المؤمنين :

أإن غُنّت الذلفاء يوماً بمنية ... وبعض أماني النساء غرام

ظننتَ بي الظن الذي ليس بعده ... بقاء فما لي في النَدَىً كلام

ويمنعني مما تظن تكرمي ... وآباء صدق سالفون كرام

ويمنعها مما تظن صلاتها ... وحال لها في قومها وصيام

فهذان حالان ، فهل أنت راجعي ... فقد جب مني كاهل وسنام

فقال عمر لما قرأ الكتاب : أما ولي سلطان فلا . . فما رجع المدينة إلا بعد وفاة عمر [1] .

وهكذا . . فالحاكم مسئول أمام الله عز وجل عن سد ذرائع الانحراف ، وإيصاد الطرق الموصلة إليه ، فضلاً عن محاربته بكل السُبل طالما تستطيع يده أن تمتد بالتغيير والإصلاح وهي قادرة : « كلكم راع ومسئول عن رعيته » .

ومن ذلك يتبين لنا أنه لا أساس في الإسلام لشئ اسمه الفوضى والفساد تحت شعار الحرية الشخصية التي تُمَكِّنُ المستهترين من نشر الوباء الخُلُقي تحت هذه المفاهيم المُزَيفَة والشعارات المُضَلِّلة . . وما شرع الله الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا للضرب على أيدي هؤلاء العابثين الذين يريدون إغراق السفينة التي تقل المجتمع باسم « الحرية الشخصية » .

﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[2] .

* * *

(١) ذم الهوى ص ١٢٤ .

(٢) النور : ٦٣ .

الشباب المسلم بين تيارات الفتن

الدور الذي يلعبه الشباب المسلم في كل المجتمعات الإسلامية - على مر العصور - هو نفس الدور الرائد الذي قام به الشباب من صحابة رسول الله ﷺ في حمل هذه الرسالة حتى دانت لهم مشارق الأرض ومغاربها . .

ومن سمات المجتمع المسلم أن لكل فرد فيه دوراً إيجابياً فعالاً . . هذا الدور هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . .

وهذه الإيجابية التي هي من صميم الإسلام إذا أُهملت في مجتمع ، فعلا فيه نباح المنكر ، وصمتت فيه ألسنة الحق نزلت اللعنة من السماء لا تُفَرِّق بين صالح وطالح .

﴿ وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْكُمْ خَاصَّةً ، وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾[1] .

وإبرازاً لهذا المعنى ولهذا الدور الذي يُوجبه الإسلام على كل مسلم ، يُصَوِّر رسول الله ﷺ المجتمع المسلم بالسفينة التي لو تُرك للحمقى والسفهاء حرية العبث بها لابتلعتها الأمواج بمن فيها وما فيها . . فيقول ﷺ : « مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم اسْتَهَمُوا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها ، وبعضهم أسفلها . . فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مَرُّوا على من فوقهم ، فقالوا : لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا ؟ فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً ، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً »[2] .

وشبابنا عندما يقوم بهذا الدور سيجد الطريق وعراً وشاقاً مليئاً بالأشواك

---

(١) الأنفال : ٢٥ .

(٢) أخرجه البخاري والترمذي .

والصخور المدمية ، وسيرون الحياة تسودها شريعة الغاب ، فالقوي يدوس الضعيف ، والغني يحاول إذلال الفقير ، والدول الكبرى تحاول احتواء الدول الصغرى أو ابتلاعها ، والنفاق والرياء والتملق هو العملة الرائجة ، والحصول على الأموال هو الهمُّ المُقْعِدُ المقيم ، وهكذا سيجدون المفاهيم منقلبة والأوضاع منكسة ، والمجتمعات تمشي مُكبَّةً على وجهها بدلاً من أن تمشي على صراط مستقيم . .

وسيسمع شبابنا أن بعض الحكام يحاولون أن ينطحوا جبل الإسلام الشامخ بقرونهم الواهية ، فهذا طاغوت يقول : إن الصيام يُعَطِّل الإنتاج ، وحاكم مراهق يلغي السنة ولا يعترف بها ، ولم يقرأ قوله تعالى : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾[1] .

وثالث متعالم يقول عن الدين بأنه فلسفة ، وينادي بفصل الدين عن الدولة . . الى آخره ، وأعظم هؤلاء فقهاً في الدين لا يعرف نواقض الوضوء ، ومجمل ثقافتهم فيه لا تساوي الثقافة الدينية لطالب في الصفوف المتوسطة وذلك على أحسن تقدير ، « والحكم على الشئ فرع عن تصوره » .

سيجد شبابنا أن بعض الزعامات تضحك على شعوبها بادعاء الإسلام وتضلل هذه الشعوب المسكينة من خلال أبواق دعايتها . .

﴿ وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ ، وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ * وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ * وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ * أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ ، بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ * إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ، وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[2] .

---

(١) الحشر : ٧ .

(٢) النور : ٤٧ - ٥١ .

وهؤلاء لا يملكون من الشجاعة أن يعلنوا عن حقيقتهم أمام شعوبهم وإلا لسُحب بساط الحكم من تحت أقدامهم ، كما تتهاوى الأنظمة العلمانية التي فرضت نفسها قسراً على بلاد المسلمين . .

نعم . . سيرى شبابنا نفسه غريباً بين هذه التيارات التي تحاول مسخه واحتراءه . . ولكنها غُربة الإسلام ، وغُربة الطائفة الثابتة على الحق التي عناها الرسول ﷺ بقوله :« لا تزال طائفة من أُمتي ظاهرين على الحق ، لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك »[1] .

« بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريبا كما بدأ ، فطوبى للغرباء » قيل : ومن هم يارسول الله ؟ . . قال : « الذين يصلحون إذا فسد الناس » .

وفي رواية ثانية : « الذين يفرون بدينهم من الفتن » .

وفي رواية ثالثة : « الذين يُصلحون ما أفسد الناس من سنتي » .

وفي رواية رابعة قال : « قوم قليل في ناس سوء كثير ، ومن يعصيهم أكثر ممن يطيعهم »[2] .

« قوم قليل في ناس سوء كثير » وهذه القلة هي التي نصر الله بها هذا الدين . . هذه القلة لا تدخل في حسابها لغة الأرقام . .

﴿ ومَنْ آمَنَ ، وَمَا آمَنَ مَعَهُ إلاَّ قَليلٌ ﴾[3]

﴿ وقَليلٌ منْ عبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾[4] .

﴿ إلاَّ الَّذينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالحَات وَقَليلٌ مَا هُمْ ﴾[5] .

﴿ بَلْ كَانُوا لاَ يَنْتَهُونَ إلاَّ قَليلاً ﴾[6] .

هذه هي القلة المؤمنة . .

---

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه مسلم والترمذي .

(٣) هود : ٤٠ .

(٤) سبأ : ١٣ .

(٥) سورة ص : ٢٤ .

(٦) الفتح : ١٥ .

﴿ وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾[1] .

وهذه هي الكثرة الضالة المضلة التي تشبه غثاء السيل . .

فالشاب المسلم عندما يدعو إلى الله عن عقيدة ، قد يكون أمة في شخص أو جماعة في واحد . .

وَرُبَّ فردٌ في الكريهة واحدٌ بالصدقِ والإيمانِ يَعْدِلُ عسكرا

« وليس الشجاعة أن تقول كل ما تعتقده فقط ، بل الشجاعة أن تعتقد كل ما تقول » . والإيمان ليس بالتمني ، وليس برفع الشعارات ، ولكن ما وَقَرَ في القلب وصدّقه العمل . .

الإيمان الذي جعل سيد المرسلين ﷺ يرسلها قوية مدوية : « يا عم . . والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله ، أو أهلك فيه ، ما تركته » .

الإيمان الذي جعل أبا الأنبياء ابراهيم عليه السلام يصبر على الإلقاء في النار فتكون العاقبة : ﴿ قُلْنَا يَانَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلاماً عَلَىَ إِبْرَاهِيمَ * وَأَرَادُوا بِهِ كَيْداً فَجَعَلْنَاهُمُ الأَخْسَرِينَ ﴾[2] .

الإيمان الذي جعل إسماعيل يصبر على الذبح إمتثالاً لأوامر الله فيكون الجزاء ﴿ وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا ، إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلاءُ الْمُبِينُ * وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ * وَتَرَكْنَا عَلَيهِ فِي الآخِرِينَ * سَلامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴾[3] .

---

(١) الأنعام : ١١٦ . (٢) الأنبياء : ٦٩ - ٧٠ .

(٣) الصافات : ١٠٤ - ١٠٩ .

الإيمان الذي جعل يوسف عليه السلام يُفَضِّل السجن على المُتعة والجمال والفراش الوثير ، فكانت نهاية المطاف : ﴿ وكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ في الأَرْضِ ، يَتَبوأُ منْهَا حَيْثُ يَشَاءُ ، نُصيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ ، وَلاَ نُضَيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ * وَلأَجْرُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾[1] .

الإيمان الذي جعل سحرة فرعون يهزأون من وعيد طاغية مصر لهم بتقطيع أيديهم وأرجلهم من خلاف ، وأطلقوها من قلوبهم : ﴿ قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا منَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا ، فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ ، إِنَّمَا تَقْضِي هَذِه الحَيَاةَ الدُّنْيا * إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ منَ السِحْرِ ، وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾[2]

الإيمان الذي جعل فتية الكهف يتمردون على عبادة الطاغوت ، ولم يرضوا لأنفسهم أن يصبحوا أفراداً في قطيع ضال يهتف ويسبح باسمه ، فَفَضَّلُوا - بعد أن انكشف أمرهم - الفرار بدينهم والانزواء به في كهف خشن يستروحون فيه رحمة الرحمن . .

الإيمان الذي جعل صبياً صغير السن كبير الإيمان يقوم بعمل فدائي ليكون إعلاماً للدين الحق ، فتكون قصة أصحاب الأخدود . .

ويصف لك ابن القيم وعورة الطريق حتى تُوَطِّن نفسك على سلوكه بزاد الإيمان واليقين فيقول : « يامُخَنَّث العزم أين أنت والطريق ؟ ؟ . . طريق تعب فيه آدم، وناح لأجله نوح ، ورُمي في النار الخليل ، وأُضجع للذبح إسماعيل ، وبِيْعَ يوسف بثمن بخس ولبث في السجن بضع سنين ، ونُشر بالمنشار زكريا ، وذُبِحَ السيد الحَصُور يَحيى ، وقاسى الضُرَّ أيوب ، وزاد على المقدار بكاء داود ، وسار مع الوحش عيسى ، وعالج الفقر وأنواع الأذى محمد ﷺ »[3]

هذا هو الإيمان الذي ربَّىَ الشباب . .

---

(١) يوسف : ٥٦ ، ٥٧ .

(١) طه : ٧٢ ، ٧٣

(٣) الفوائد - لابن القيم ص ٥٦ .

وإننا نريد شبابنا من هذا الطراز الفَذ العملاق . .

نريد من شبابنا أن ينتشروا مبشرين بهذا الدين العظيم . . نعرض إسلامنا على الناس على أنه سفينة النجاة التي ستنقذ البشرية الضالة الحائرة ، وتوصلها إلى شاطئ الأمان . . نُعَلِّم الناس أن جميع الهزائم التي ابْتُلِيَ بها المسلمون كانت في غيبة الإسلام عن مسرح الحياة . .

وهذا لن يكون إلا بعرض الإسلام حياً مترجماً في سلوكنا نحن الشباب ، فذلك أعظم دعاية للإسلام . .

وما أحرانا أن نُلقي السمع إلى شيخنا أبي الأعلى المودودي ، وهو يضع لنا المعالم على طريق الدعوة إلىَ اللّه ، فيقول ملخصاً الأمور التي يجب على الشباب الأخذ بها للقيام بعمل جدي للإسلام في ظروفه الحاضرة :

« أولاً : لا بد لكم ، قبل كل شئ من معرفة دقيقة بحقيقة الإسلام ، لتكونوا مسلمين علماً وتفكيراً كما أنتم مسلمون قلباً وعاطفة ، ولتكونوا على قسط كبير من القدرة الكافية والكفاءة اللازمة لتسيير الشئون الاجتماعية في العصر الحاضر وفقاً لأحكام الإسلام ومصالحه وقواعده .

ثانياً : عليكم أن تبادروا إلى تقويم ما اعْوَجَ ، وإصلاح ما فسد من أخلاقكم وعاداتكم حتى تشهدوا بذلك شهادة عملية للإسلام الذي شهدتموه من قبل شهادة قولية ، ولتعلموا بأن التناقض في قول الإنسان وعمله يزرع بذور النفاق في القلوب ويُزيل ثقة الناس به . . وأن نجاحكم ليتوقف على الإخلاص في النية ، والصدق في العزيمة ، وعلى أن توافق أعمالكم أقوالكم . . إن الرجل الذي يقول ما لا يفعل يضر بدعوته أكبر ضرر .

﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَالاَ تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لاَ تَفْعَلُونَ ﴾[1]

---

(١) الصـــف : ٢ ، ٣ .

ثالثاً : ألا تدخروا جهداً في بذل كل ما تستطيعون من قوة فكرية وعملية أودعها الله إياكم في سبيل الدعوة بالكتابة والخطابة ، وأن تقوموا بدراسة أسس الحضارة الغربية وانتقادها وتمييز خبيثها من طيبها ، حتى تحرروا بذلك عقول المسلمين وقلوبهم من التبعية للغرب ، وحتى تحطموا أصنام النظريات الغربية التى استحوذت على قلوب جماعة من المسلمين من زمن طويل .

هـــذا فـــي جـــانـب ، وفي الجانب الآخر عليكم أن تقوموا بتدوين وعرض قوانين الإسلام للحياة الإنسانية ، بطريقة علمية ترغم الجيل الجديد على الاعتقاد بصحة هذه القوانين وتقنعه بأن نظام الإسلام من شأنه أنه إذا أخذ به شعب من شعوب العالم لا يتقدم فحسب ، بل يسبق الآخرين في كل ناحية من نواحي الحياة . إن هذا العمل بقدر ما يتسع نطاقه ويتجه إلى خطوط مستقيمة يزداد عدد العاملين للدعوة الإسلامية وأنصارها والمتأثرين بها في كل شعبة من شعب الحياة . . ولابد من إطالة هذا العمل لمدة غير يسيرة حتى يأتي على الدعوة يوم ينضوي تحت لوائها مجموعة كبيرة من المؤمنين بها ، الذين تحتاج إليهم لِتُشَيد صرح البلاد على دعائم النظام الإسلامي . . ومن العبث أن نتوقع انقلاباً إسلامياً شاملاً قبل أن تسبقه عملية الإعداد والتحضير ، وإذا حصل هذا ، بطريقة صناعية وبدون إعداد كامل فلن يدوم ولن تتأصل له في الأرض جذور . .

رابعاً : أن تضموا إلى أسرتكم كل من يتأثر بدعوتكم الإسلامية وتُكَوِّنوا منهم جماعة قوية ذات نظام متين ودستور مُحكم حتى لا يمكن للضعف والخور أن يأخذا إلى صفوفها سبيلاً ، إن مجرد تكوين جماعة من الناس الذين أبدوا اتفاقهم على مبدأ معين دون تنظيم دقيق مُحكم يقوم أمره على السمع والطاعة عمل مبتور لا يُجدي بشئ ، هذا ما تؤكده التجارب الماضية - ولا ينبئكم مثل خبير . .

خامساً : عليكم أن تهتموا كذلك بنشر الدعوة بين صفوف العوام حتى تُبَدِّدوا ظلام جهلهم ، وتجعلوهم على بَيِّنة من أمر دينهم ، وحتى يتبين لهم الخبيث من الطيب . . كما يجب عليكم أن تهتموا بإصلاح أخلاقهم ورفع مستوى تفكيرهم ووعيهم الإسلامي ليقفوا سداً منيعاً في وجه السيل العارم من الإلحاد والفسوق الذي ينتشر بسرعة في البلاد الإسلامية بمساعدة وتشجيع من حكوماتها الفاسدة . . وذلك لأن الشعوب التي ألهتها شهواتها وملذاتها لا يمكنها أن تكون أرضاً طيبة لأن تقوم فيها دولة إسلامية ، ولأنه بقدر ما تفشو الميوعة وتنتشر الخلاعة بين عامة الناس يصبح من المستحيل إقامة نظام إسلامي فيهم . وإن الكذابين والخونة والفسقة والفجرة بقدر ما يصلحون لنظام كافر لا يصلحون لنظام إسلامي.

سادساً : لا تحاولوا إقامة نظام إسلامي على أسس غير سليمة . وعلى دعائم ضعيفة وقواعد متزلزلة ، بل يجب عليكم الصبر في هذا الشأن لأن الأهداف التي نريد تحقيقها إنما هي أهداف ضخمة كبيرة تهدف إلى تصحيح القيم الإنسانية في أفهام الناس ، وإلى إعادتهم إلى حظيرة الإسلام بعد الردة التي هُم عليها منذ زمان طويل ، ومثل هذا العمل الجليل يحتاج إلى مثابرة ومصابرة وإلى تفكير عميق ، كما أنه يجب عليكم أن تخطوا كل خطوة بحساب وبحكمة وتبصر ، ولا تخطوا خطوة جديدة إلا بعد أن تراجعوا نتائج خطوتكم السابقة وتدرسوا ثمارها : هل هي سارت في الطريق المرسوم ، وهل جاءتكم بالنتائج المرجوة ؟! ومن المشاهد المسلم بها أن الاستعجال أمر غير مأمون العاقبة . فاشتراكنا مثلا - في وزارة غير صحيحة وغير مؤمنة بمبادئنا - على رجاء أن مشاركتنا فيها خطوة تقربنا إلى غاياتنا لأمر خاطئ ، لأن التجارب العملية تؤكد بأن مثل هذا العمل لا يُجني منه الثمار الطيبة ، إذ أن الذين يسيطرون على الحكم هم الذين يتولون رسم سياستها الداخلية والخارجية ويقومون بتنفيذها حسب ما توحي مصالحهم وأهواؤهم . وأما الذين يشاركونهم بُغية تحقيق الأهداف النبيلة التي يضعونها نصب أعينهم ، لا بد لهم من مسايرتهم ، ومعنى

ذلك أنهم يصبحون آخر الأمر أبواقاً لهم وآلة في أيديهم يفعلون بهم ما يشاءون، ويستغلونهم كما يريدون . .

أيها الإخوة الكرام . . وأوَدُّ أن أوجه إليكم نصيحة ، في الختام ، وهي : ألاَّ تقوموا بعمل جمعيات سرية لتحقيق الأهداف ، وأن تتحاشوا استخدام العنف والسلاح لتغيير الأوضاع ، لأن هذا الطريق أيضاً نوع من الاستعجال ، الذي لا يُجدي بشئ ، ومحاولة للوصول إلى الغاية بأقصر طريق . إن هذا الطريق أسوأ عاقبة وأكثر ضرراً من كل صورة أخرى . وإن الانقلاب الصحيح السليم قد حصل في الماضي - وسيحصل كذلك في المستقبل - بعمل علني واضح وضوح الشمس في رابعة النهار . فعليكم أن تنشروا دعوتكم علناً ، وتقوموا بإصلاح قلوب الناس وعقولهم بأوسع نطاق ، وتُسَخِّروا الناس لغاياتكم المُثلى بسلاح من الخُلُق العذب والشمائل الكريمة والسلوك الحسن والموعظة الحسنة والحكمة البالغة ، وأن تواجهوا كل ما يقابلكم من المحن والشدائد مواجهة الأبطال . هذا هو الطريق الذي سيمكننا من عمل انقلاب عميق الجذور، راسخ الأسس قوي الدعائم كبيرالنفع في حق هذه الأمة المسكينة ، ومثل هذا الانقلاب لا يمكن لأي قوة معادية أن تقف في وجهه ، وأقول : إن هذه الأمة لا يصلح آخرها إلا بما صلح به أولها . .

أما إذا استعجلتم في الأمر وقمتم بعمل الانقلاب بوسائل العنف ، ثم نجحتم في هذا الشأن إلى حد ما ، فسيكون مثله كمثل الهواء الذي دخل من الباب ليخرج من النافذة . .

هذه هي النصيحة التي أحببت توجيهها لكل من يقوم بأمر الدعوة الإسلامية وإن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب ، أو ألقى السمع وهو شهيد . .

وأقول كما قال الشاعر :

فـدت نفسي وما ملكت يميني فوارس صدقوا فيهم ظنوني »[1] .

* * *

(١) واجب الشباب المسلم اليوم - للشيخ أبي الأعلى المودودي .

من فتاوي الشباب

وهذه أسئلة يكثر توجيهها من الشباب المسلم ، سنجيب عنها - إن شاء الله على هَدى من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

● السؤال : ما حقيقة الاحتلام ؟

- الجواب : الاحتلام عند الرجل ، والحيض عند المرأة هما دليلا النضج الجنسي وهما مناطا التكليف الشرعي ، والاحتلام ظاهرة صحية يقوم بها الجسم للتخلص من فائض الخلايا التناسلية المختزنة عند الرجل ، وحدوثه يكون لا إرادياً ، وينبغي على الشاب المسلم ألا يفزع من ذلك ، وألا يشعر بالإثم أو الذنب إذا حدث له شيء من هذا ، فإن مما علّمه لنا نبينا ﷺ أن القلم رُفع عن ثلاثة : عن النائم حتى يستيقظ ، وعن الصبي حتى يبلغ ، وعن المجنون حتى يُفيق .. والاحتلام يكثر عادةً عند الشباب المتعفف في فترة المراهقة ، وكمحاولة للإقلال منه ينبغي على الشاب ألا يُشغل تفكيره قبل النوم بالأمور الجنسية ، وأن يتعود على قضاء حاجته قبل النوم ، لأن امتلاء المثانة والأمعاء بمخلفات الجسم ، يضغط على الحويصلات المنوية فيثيرها ، فيترتب على ذلك كثرة الاحتلام ..

● السؤال : ما الفرق بين المَنِيّ ، والمَذْي ، والوَدْي ؟ وما الذي يجب في خروجه غُسل الجنابة ؟

- الجواب : المَنِيّ : هو الماء الغليظ الدافق ، الذي يخرج عند اشتداد الشهوة .. وحكمه : الطهارة ، ويستحب غَسله إن كان رطباً ، وفركه إن كان يابساً ، ومن خصائصه أنه يتفاعل مع الهواء ، ولذا يُستحب الإسراع في غَسله بالماء البارد حتى لا يترك أثاراً على الثياب ، ويجب في خروجه الغُسل إذا خرج على الصفة المذكورة في تعريفه ..

المَذْي : هو ماء أبيض لزج يخرج عند التفكير الجنسي أو المداعبة ، وهو

نجس ، فإذا أصاب البدن ، وجب غَسله ، وإذا أصاب الثوب اكتُفي فيه بتعميم موضعه بالماء .. ولا يجب فيه الغُسل بل يَغسل ذكره وأُنثييه ويتوضأ ..

الوَدْي : ماء أبيض يخرج - عادةً - بعد البول ، وهو نجس أيضاً ، ولا يجب في خروجه الغُسل ، بل يَغسل ذكره وأُنثييه ويتوضأ وضوءه للصلاة كالمعتاد ..

● السؤال : ما الحكم إذا خرج المَنِيّ على سبيل المرض : بدون شعور بالشهوة أو خرج المَنِيّ من الشاب عقب التبول ؟

- الجواب : إذا خرج المَنِيّ على الصفة المبينة في السؤال ، فلا يجب في خروجه الغُسل ، ويحسن بنا أن نذكر إجابة حَبْرُ الأمة « عبد الله بن عباس » عن هذا السؤال .. قال مجاهد : « بينما نحن - أصحاب ابن عباس حَلْقٌ في المسجد - طاوس ، وسعيد بن جبير ، وعكرمة - وابن عباس قائم يصلي إذ وقف علينا رجل فقال : هل من مُفْتٍ ؟ فقلنا : سَلْ ، فقال : إني كلما بُلْتُ تبعه الماء الدافق ؟ قلنا : الذي يكون منه الولد ؟ قال : نعم ، قلنا عليك الغُسل ، قال : فَوَلَّىَ الرجل وهو يُرَجِعْ - أي يقول : إنا للّه وإنا إليه راجعون - قال : وعجُل ابن عباس في صلاته ، ثم قال لعكرمة : عليّ بالرجل ، وأقبل علينا فقال : أرأيتم ماأفتيتم به هذا الرجل ، عن كتاب اللّه ؟ قلنا : لا . قال: فعن رسول اللّه ﷺ ؟ قلنا : لا. فعن أصحاب رسول اللّه ﷺ ؟ قلنا : لا . قال : فعمه ؟ قلنا : عن رأينا . قال : فلذلك قال رسول اللّه ﷺ : « فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد » . قال : وجاء الرجل فأقبل عليه ابن عباس فقال : أرأيت إذا كان ذلك منك ، أتجد شهوة في قُبُلكَ ؟ قال : لا ، قال : فهل تجد خَدَرَاً في جسدك ؟ قال : لا . قال : إنما هي أبردة ، يجزيك منها الوضوء».

● السؤال : ما الحكم إذا احتلم الشاب ولم يجد أثراً للمَنِيّ في ثيابه ؟

- الجواب : لا غُسل عليه إلا إذا مشى فخرج منه المَنِيّ ..

● السؤال : ما الحكم إذا رأى مَنِيّاً في ثوبه ولم يذكر احتلاماً ؟

- الجواب : وجب عليه الغُسل .. قالت السيدة عائشة رضي اللّه عنها :

سُئل رسول الله ﷺ عن الرجل يجد البلل ، ولا يذكر احتلاماً ؟ قال : «يغتسل»..وعن الرجل يرى أنه قد احتلم ، ولا يجد بللاً ، فقال : « لا غُسل عليه »[1] .

● السؤال : إذا اجتمع شيئان يوجبان الغسل - كالحيض والجنابة ، أو الجنابة والجمعة - فهل يُجزىء عنهما غسل واحد ؟

- الجواب : نعم يجزئ عن الموجبين للغُسل ، غُسل واحد ، إذا نوى الكل ، وكذلك إذا كان جُنُباً واغتسل ولم يتوضأ أجزأه ذلك عن الغُسل والوضوء . إذا نواهما على أن يبدأ في الغُسل بالقُبُل والدُبُر حتى لا ينتقض وضوءه بمس عورته في أثناء الغُسل وذلك بخلاف ما إذا كان يغتسل للتنظيف أو التبرد ، فيجب عليه في هذه الحالة أن يتوضأ وضوءاً كاملاً .. مرتباً .

● السؤال : ما صفة الغُسل الواجب ؟[2] .

- الجواب : هناك ركنان لا يتم الغُسل الواجب إلا بهما: الركن الأول تقديم النية ، والركن الثاني تعميم الجسد بالماء ، فيجب على المغتسل أن يُوصل الماء إلى جميع البشرة بعد إزالة النجاسة ، وإزالة ما يمنع من وصول الماء إلى البشرة كعجين ، وشمع ، وعُماص في عينيه ، و « طلاء أظافر » ، وعليه أن يتعهد إبطيه ، وطبقات بطنه ، وداخل سُرّته ، وأثر جُرح غائر ، ولايتكلف إدخال الماء في جُرحه بأنبوبة مثلاً ، وعليه أيضاً غَسل الشعر ظاهراً وباطناً حتى يصل الماء إلى ظاهر الجلد ، وإذا كان على الرأس المرأة طِيب يمنع من وصول الماء إلى جذور الشعر وجب عليها أن تُزيله ، وإن كان شعرها مضفوراً وكان الماء يصل إلى أصل الشعر وهومضفور فلا يجب عليها نقضه . وإذا كان المغتسل متحلياً بخاتم وجب عليه تحريكه ليصل الماء إلى ما تحته[3] . ولا بأس من تأخير غسل الرجلين إلى نهاية الغسل .

---

(١) رواه أبو داود وابن ماجه .

(٢) اقتصرنا هنا على ما يجب مراعاته في الغُسل ، وأما السنن المتعلقة به فيرجع فيها إلى كتب الفقه .

(٣) ثبت بالأدلة القاطعة حُرمة تحلي الرجال بالذهب .

● السؤال : هل يجب على الحائض قضاء صلاتها ؟

– الجواب : الحائض تقضي الصيام ولا تقضي الصلاة ، ولكنها إذا حاضت في أول وقت الصلاة أو في آخر الوقت ، ولم تكن صلت تلك الصلاة سقطت عنها .. وإن طهرت في آخر وقت الصلاة بمقدار يتسع للغُسل تلزمها تلك الصلاة وإلا فلا تلزمها تلك الصلاة ولا قضاؤها .

* * *

ومسك ختامنا هذه البشرى التي يسوقها إلى الشباب سيدنا أبو هريرة رضي اللّه عنه عن البشير النذير ..

عن أبي هريرة رضي اللّه عنه – قال : سمعت رسول اللّه ﷺ يقول : « سبعة يُظلهم اللّه في ظله يوم لا ظل إلا ظله : الإمام العادل .. وشاب نشأ في عبادة الله عَزَّ وجَلَّ .. ورجل قلبه مُعَلَّقٌ في المساجد .. ورجلان تحابا في اللّه اجتمعا عليه وتفرقا عليه .. ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال : إني أخاف الله .. ورجل تَصَدَّق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه .. ورجل ذكر اللّه خالياً ففاضت عيناه ..» (متفق عليه) .

وَصلَّ اللّهم على سيدنا محمد إمام المتقين ، وقائد الغُرّ المُحَجَّلين ، وشفيع المذنبين – ما كَرَّ الجديدان ، وما لاح النيّرَانِ ، وعلى آله وصحبه و سلم ..

وآخر دعوانا : أن الحمدُ للّهِ ربِّ العالمين ..

* * *

ثبت بالمراجع العربية

١ - القرآن الكريم .
٢ - صحيح البخاري ، للإمام محمد بن إسماعيل البخاري .
٣ - صحيح مسلم ، للإمام مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري .
٤ - الجامع للترمذي ، للإمام محمد بن عيسى الترمذي .
٥ - سنن أبي داود ، للإمام أبي داود السجستاني .
٦ - سنن النسائي ، للإمام أحمد بن شعيب بن علي النسائي .
٧ - سنن ابن ماجه ، للإمام محمد بن يزيد بن ماجه القزويني .
٨ - الموطأ ، للإمام مالك بن أنس بن مالك الأصبحي .
٩ - المسند ، للإمام أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني .
١٠ - السيرة الحلبية ، لعلي بين برهان الدين الحلبي الشافعي .
١١ - إحياء علوم الدين ، للإمام أبي حامد الغزالي .
١٢ - أخبار النساء ، للإمام ابن قيم الجوزية .
١٣ - الإنسان ذلك المجهول ، الكسيس كاريل .
١٤ - ادفعي زوجك الي النجاح ، دوروثي كارنيجي .
١٥ - تاريخ العلم ودور العلماء العرب في تقدمه ، دكتور عبد الحليم منتصر .
١٦ - تاريخ العرب العام ، هـ . أ ، ترجمة عادل زعيتر .
١٧ - تعدد الزوجات لا تعدد العشيقات ، د . عبد الحليم عويس ، ومصطفي مشهور .
١٨ - بروتوكولات صهيون ، ترجمة أحمد عبد الغفور عطار .
١٩ - الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي ، ابن قيم الجوزية .
٢٠ - جامع بيان العلم وفضله ، ابن عبد البر النمري القرطبي .
٢١ - الحجاب ، أبو الأعلي المودودي .
٢٢ - حقوق النساء في الإسلام ، السيد محمد رشيد رضا .
٢٣ - حضارة العرب ، جوستاف لوبون ، ترجمة عادل زعيتر .
٢٤ - دع القلق وابدأ الحياة . ديل كارنيجي . ترجمة عبد المنعم الزيادي .
٢٥ - دفاع عن الزوجات ، الصحفي محسن محمد .
٢٦ - ذم الهوى ، أبو الفرج بن الجوزي .
٢٧ - روضة المحبين ونزهة المشتاقين ، ابن قيم الجوزية .
٢٨ - زاد المعاد في هَدى خير العباد ، ابن قيم الجوزية .
٢٩ - الزواج ، عمر رضا كحالة .
٣٠ - الزنا ومكافحته ، عمر رضا كحالة .
٣١ - شباب في الشيخوخة ، دكتور أمين رويحة .

٣٢ - الشيطان يحكم ، دكتور مصطفى محمود .
٣٣ - الصحة العامة والرعاية الصحية ، دكتور فوزي علي جاد الله .
٣٤ - الصديقة بنت الصديق ، عباس محمود العقاد .
٣٥ - صفحات مضيئة من تراث الإسلام ، أنور الجندي .
٣٦ - الصلاة الخاشعة ، عبد الرحمن واصل .
٣٧ - طبيبك معك ، دكتور صبري القباني .
٣٨ - الطب النفسي المعاصر ، دكتور أحمد عكاشة .
٣٩ - ظلام من الغرب ، محمد الغزالي .
٤٠ - عبقرية الإمام علي ، عباس محمود العقاد .
٤١ - عاطفة الحب بين الإسلام ووسائل الإعلام ، عبد الرحمن واصل .
٤٢ - العقيدة والقوة معاً ، محمد عبدالله السمان .
٤٣ - علم النفس التربوي ، دكتور فاخر عاقل .
٤٤ - الفكر الإسلامي والمجتمع المعاصر .. مشكلات الأسرة والتكافل ، محمد البهي .
٤٥ - الفوائد ، ابن قيم الجوزية .
٤٦ - فيض الخاطر ، أحمد أمين .
٤٧ - القرآن والطب ، دكتور أحمد محمود سليمان .
٤٨ - القرآن والطب ، دكتور محمد وصفي .
٤٩ - قوة الإرادة ، جون كيندي ، ترجمة صلاح مراد .
٥٠ - مآثر العرب على الحضارة الأوروبية ، جلال مظهر .
٥١ - مختصر منهاج القاصدين ، ابن قدامه المقدسي .
٥٢ - ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، أبو الحسن الندوي .
٥٣ - المرأة بين الفقه والقانون ، دكتور مصطفى السباعي .
٥٤ - المرأة والصراع النفسي ، دكتورة نوال السعداوي .
٥٥ - المستطرف من كل فن مستظرف ، محمد بن أحمد الابشيهي .
٥٦ - المضيفات والممرضات في الشعر المعاصر ، عبد الرحمن المعمر .
٥٧ - المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية ، ابن حجر العسقلاني .
٥٨ - الموسوعة الطبية الحديثة ، ٦ مجلدات ، سجل العرب .
٥٩ - نظام التجريم والعقاب في الإسلام مقارناً بالقوانين الوضعية،المستشار علي علي منصور.
٦٠ - نظرية داروين بين المؤيدين والمعارضين ، قيس القرطاس .
٦١ - واجب الشباب المسلم اليوم ، أبو الأعلى المودودي .
٦٢ - وحي القلم ، مصطفى صادق الرافعي .
٦٣ - اليهودي العالمي ، هنري فورد .